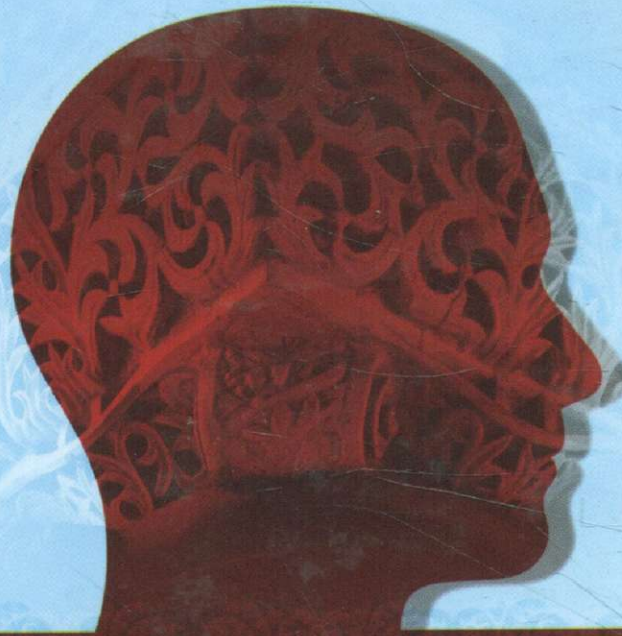


علم النفس الإسلامي



رحيم كامل الصجري
جامعة بابل كلية الدراسات القرآنية

الدكتور
عماد حسين المرشدي
جامعة بابل كلية التربية الاساسية



الدار المنهجية
للنشر والتوزيع



لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ

إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
العظيم

علم النفس الإسلامي

علم النفس الإسلامي

الدكتور

عماد حسين المرشدي

جامعة بابل كلية التربية الأساسية

رحيم كامل الصجري

جامعة بابل كلية الدراسات القرآنية

الطبعة الأولى

2015م - 1436هـ



الدار المنهجية
للتنشر والتوزيع



الدار المنهجية
للنشر والتوزيع

رقم التصنيف: 210.9

علم النفس الإسلامي

د. عماد حسين المرشدي، رحيم كامل الصجري

الواصفات: // الإسلام // علم النفس //

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2014/9/4430)

ردمك 2-29-593-9957-978 ISBN

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الضحيص التجاري

هاتف: +962 6 4611169 ص. ب. 922762 عمان - 11192 الأردن

DAR ALMANHAJIAH Publishing - Distributing

Tel: + 962 6 4611169 P.O.Box: 922762 Amman 11192- Jordan

E-mail: info@almanhajiah.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو أي
جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من
الأشكال دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا

أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

صدق الله العظيم

سورة الإسراء الآية 85

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا
بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجلة إلا برويتك الله جل جلاله
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين ..

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من
أحمل اسمه بكل افتخار .. أرجو من الله أن يمد في عمرك لتري ثماراً قد حان قطفها بعد
طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد ..

والذي العزيز

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة

الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الخيرة

المؤلفان

الفهرس

13 المقدمة

الفصل الأول

17 مفهوم التأصيل - الأسلمة - التوجيه الإسلامي والفرق بينهم

18 مفهوم الأسلمة

18 مفهوم التوجيه الإسلامي

38 منهج التأصيل الإسلامي

47 نظرية التعليم في القرآن

49 مفهوم نظرية المعرفة

53 البحث في مصادر المعرفة

الفصل الثاني

67 أولاً: المفهوم اللغوي

68 ثانياً: المفهوم الاصطلاحي

69 ثالثاً: ما الفرق بين الغرائز والدوافع؟ وما العلاقة بينهما؟

90 الصفات المعلم في الإسلام

97 الشخصية في القرآن

99 تكوين الإنسان

100 الصراع النفسي

103 الشخصية السوية وغير السوية من المنظور الإسلامي

104 أنماط الشخصية في القرآن

107 العلاج النفسي في القرآن

109 أن للإيمان تأثيراً عظيماً في نفس الإنسان

الفصل الثالث

115 الانتباه
115 تعريف الانتباه
116 أهمية الانتباه في عملية التعلم
116 الانتباه محدود
117 الانتباه دائم الحركة والتذبذب
117 أنواع الانتباه
119 العوامل التي تساعد على جذب الانتباه
123 مستوى الحفز والاستثارة الداخلية
123 الاهتمامات والميول
123 الراحة والتعب
124 مشتتات الانتباه
126 التذكر والنسيان والحفظ
126 مفهوم التذكر
132 النسيان
137 الحفظ
140 الفروق الفردية في القران والسنة

الفصل الرابع

147 ابن سينا
151 ابن خلدون
157 الغزالي
162 ابن الهيثم والبصريات والطرق العلمية للبحث
164 الرازي أبو الطب العربي

165 أبو البركات ابن ملكا

167 الدور الحضاري للمسلمين والعرب في الحضارة الغربية



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الطيبين، اللهم أرزقنا حبك وحبه، وأكرمنا بفضله، إنك سميع قريب مجيب.

لقد خلق الله الإنسان من العدم، وميّزه وفضّله على كثير من خلقه بالفضل، ولقد أنعم عليه بجمال الخلقة وأنسجам الأعضاء وتناسقها، بالإضافة إلى النعم الكثيرة والأخرى.

إن الإنسان بطبيعته التي خلق عليه يجمع بين عدة غرائز مختلفة ودوافع متنوعة، وهذا له علاقة وطيدة بما يسمى علم النفس التربوي والذي شابه شيء من الانحرافات مثله مثل بقية علوم النفس، حيث دخلت ضمن زمرة العلوم التجريبية، والعلة في ذلك أن النفس الإنسانية معقدة أشد التعقيد ويصعب إخضاع كثير من ظواهرها للقياس والتجارب، وأزمة العالم الإسلامي في مجال علم النفس ليست أزمة مصادر، إنما هي أزمة بحث في هذا المجال " ولا شك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة التراث الإسلامي، مبتدئين بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ثم متبعين لتطور التفكير في الدراسات النفسية لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين، بهدف استيعاب المفاهيم النفسية الإسلامية استيعاباً صحيحاً، يكون هادياً لنا في دراستنا النفسية وعوناً لنا في تكوين نظرياتنا الخاصة عن الشخصية الإنسانية، بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان، وهي حقائق يقينية، لأنها صادرة عن الله تعالى خالق الإنسان".

وعلم النفس الإسلامي يترقى بالإنسان وينظر له من كافة الجوانب على أنه روح علاقتها بعالم الغيب ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ (الاسراء: اية 85). وينظر للنفس الإنسانية نظرة متحركة لأعلى ولأسفل، فإذا ارتقت لأعلى سماها مطمئنة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿ (الفجر: اية 27 - 30). وإذا هبطت لأسفل وسارت في طريق المعصية والغواية سماها الأمانة بالسوء وإذا ظلت في حالة بين الحالتين لاهي التي سعدت ونجت بنفسها ، ولا هي التي هبطت وضاع منها الأمل في الخلاص فعند ذلك يخلع عليها القرآن الكريم الوصف المناسب ويسميتها النفس اللوامة ﴿ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿ (القيامة: اية 2). هذه الإحاطة بالشمول في النظرة إلى جوهر النفس البشرية لا توجد عند علماء النفس الذين لا يلتزمون بالمنهاج الإسلامي في بحثهم، والقرآن الكريم من أوله إلى آخره هو علاج للنفس وللإنسان في كل صوره و"لو تركت النفس البشرية دون تهذيب وتأديب لانغرقت واندفعت نحو النقائص وابتعدت عن السوية وتزاحمت فيها الخواطر المذمومة وغلب عليها الرياء والكبرياء ، فالقرآن الكريم كتابها وفيه توجيهها وعلاجها.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير

المؤلفان

علم النفس الإسلامي

الفصل الأول

1





الفصل الأول

مفهوم التأصيل – الأُسمة – التوجيه الإسلامي والفرق بينهم

لابد لنا من بيان هذه المصطلحات لما لها من تداخل في المفهوم والمعنى ومن ثم بيان الفرق بينها.

أولاً:

أ) مفهوم التأصيل في اللغة:

مشتق من الفعل أصل، (أصل) الشيء أصلاً أي استقصى بحثه حتى عُرِف أصله، وأصل الشيء تأصيلاً أي جعلت له أصلاً ثابتاً ينبني عليه، و(أصل) الشيء أساسه الذي يقوم عليه وهو بمعنى أسفل الشيء وأساسه، وتأصيل الشيء إثبات أصله، ورجل أصيل ثابت الرأي والعقل، وأصل الشجرة جذورها. ويقال استأصلت هذه الجرة أي ثبت أصلها، كما قد يأتي استئصال الشيء بمعنى قطعه وخلعه من جذوره (الزبيدي، ب.ت).

ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الإسلامية والاجتماعية:

التأصيل الإسلامي لعلوم التربية بأنه: "إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم، من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة، ودراسة موضوعات هذه العلوم دراسة تقوم على الأسس السابقة، وتستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم من نتائج ونظريات وآراء لا تتعارض مع تلك الأسس".

ويعرف محمد عثمان نجاتي التأصيل: "إقامة هذه العلم على أساس التصور الإسلامي وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية".

أن التأصيل الإسلامي عبارة عن: "إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود ذلك باستخدام منهج متكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصدر للمعرفة. يتضح من خلال التعريفات السابقة أنه لا يوجد بينها كبير فرق لأن جميعها منطلقة من التصور الإسلامي الصحيح إلا أن الاختلافات تأتي دائماً في التطبيقات والممارسات وإنزال بعض النصوص الشرعية على بعض المفهومات والنظريات (نجاتي، 1987).

ثانياً: مفهوم الأسلمة:

(أ) في اللغة: من الإسلام وهو بمعنى الاستسلام والخضوع.

(ب) في الاصطلاح:

الأسلمة بأنها: "إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها، أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها وإعادة تقويم النتائج، وإعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وحدة قضية الإسلام (بدري، 1987).

مفهوم التوجيه الإسلامي:

(أ) التوجيه في اللغة:

في لسان العرب: "يقال شيء موجه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف.. ويقال: خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيهاً، إذا وطؤوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه (ابن منظور، ب.ت).

ويمكن تلخيص أهم المعاني اللغوية فيما يلي:

- 1 - تصير الشيء وإدارة الشيء إلى الجهة التي يراد أن يتجه إليه.
- 2 - تحريكه إلى المسلك أو الطريق الذي يراد أن يسلك فيه.
- 3 - غرس الشيء.

4 - إقامة الشيء وتعديله على نحو معين.

ب) التوجيه في الاصطلاح:

يعرف يالجن التوجيه بأنه: "مجموعة من الإرشادات التي تتعلق بمقاصد تحصيل العلوم وبطرق دراستها ووجوه استخدامها في ضوء التربية الإسلامية". ويرى القطان بأن التوجيه الإسلامي للعلوم يكون بـ "إعادة النظر في الدراسات العلمية بعامة والإنسانية منها بخاصة وتأصيلها وفق ثوابت الفكر الإسلامي، وصياغتها في إطار الإسلام".

وقد أدلى الباحثون بدلوهم في تعريف التوجيه الإسلامي، ويتضح من هذه التعاريف أن هناك اتفاقاً واضحاً بين كل من كتبوا حول هذا الموضوع وسواء كان بشكل صريح أو ضمني على أن التوجيه الإسلامي تضمن المكونات الأربعة وهي:

- 1 - تحديد أبعاد التصور الإسلامي الشامل للإنسان والمجتمع والوجود.
- 2 - حصر نتائج البحوث العلمية المحققة في نطاق العلوم الاجتماعية الحديثة، ومسح نظرياتها وتحليلها وإخضاعها للتمحيص والنقد في ضوء مقتضيات ذلك التصور الإسلامي.
- 3 - بناء نسق علمي متكامل يضم ما صح من نتائج العلوم الحديثة وما صمد للتمحيص ولنقد نظرياتها، ويربط بينها وبين ما توصل إليه علماء المسلمين من حقائق وتعميمات برباط تفسيري مستمد من التصور الإسلامي.
- 4 - استنباط فروض مستمدة من ذلك النسق العلمي المتكامل الذي تمّ التوصل إليه فيما سبق وإخضاع تلك الفروض للاختبار في أرض الواقع للتحقق من صحة الاجتهاد البشري.

هل هناك تعارض بين المصطلحات؟ وكيف يتم التوفيق بينها؟

إن اختلاف الباحثين في المصطلحات ما بين الأسلمة إلى التأصيل أو التوجيه له دلالة وهي أن الجميع كان يريد أن يصل إلى الحق، ويريد للمنهج الإسلامي حضور في العلوم والمعارف، وهو تابع عن صدق النية وحسن المقصد، فالمجتهد المصيب له أجران والمخطأ له أجر واحد وكلاهما في خير. فعبيراً أكبر من نصف قرن تعددت المصطلحات التي استعملها الباحثون في التعبير عن إعادة صياغة العلوم التربوية والنفسية صياغة إسلامية، كما تعددت أيضاً تصوراتهم حول هذه المهمة، وقد أحصى كمال مرسي خمسة مصطلحات شاع استعمالها بين الباحثين وهي:

- 1 - أسلمة علم النفس أو إسلامية علم النفس.
- 2 - التأصيل الإسلامي لعلم النفس.
- 3 - التوجيه الإسلامي لعلم النفس.
- 4 - التفسير الإسلامي للسلوك.

وكان لكل مصطلح من يناصره ويتبناه، مثلاً مصطلح أسلمة العلوم كان البعض يعترض عليها على أساس أن الأسلمة تقتضي إسلام العلوم وهي لا إرادة لها ولا عقل كالجمادات الأخرى التي لا يمكن إطلاق الإسلام عليها، ويقال أيضاً متى كفرت العلوم حتى تسلم، كما اعترض آخرون على اصطلاح التأصيل الإسلامي للعلوم على أساس أن معناه عندهم رد الشيء لأصله، ومقتضى ذلك أن كل العلوم الاجتماعية الحديثة موجودة بحالتها الصحيحة أو مدفونة بشكل ما في تراثنا الإسلامي، وأن كل ما علينا هو التنقيب وإزالة الغبار العالق حولها لنصل مباشرة إلى ما نريد من عملية التأصيل (محدود، 1989).

ولم يسلم كذلك اصطلاح التوجيه الإسلامي للعلوم من النقد أيضاً على أساس أن التوجيه عند المعارضين على استعماله إنما يعني استخدام العلوم في مجال خدمة الإسلام وخدمة الدعوة الإسلامية، وهذا المصطلح بهذا المعنى قد لا

يتضمن محاولة إيجاد الأصول والقواعد الإسلامية في التفكير الإسلامي أو في القرآن والسنة، وذلك أنه يوجه ما هو موجود وكائن ولا يوجه ما هو غير موجود ولا يقتضي إيجاد ما يجب إيجاده. (سقا، 2001).

إلا أنه بعد النظر والإطلاع تبين أن المصطلحين الأقرب إلى الصواب - والله أعلم - هما مصطلح التأسيس والتوجيه، حيث أن لكل واحد منها مزايا وتعد مفهومي، فالعالم الإسلامي - في رأي الباحث - يحتاج إلى المصطلحين، وكل مصطلح له معنى وأهمية، فنحن بحاجة إلى التأسيس من خلال العناية بالأحكام الشرعية التي لها علاقة بالعلوم النفسية والتربوية، حيث أن المنهجية الشرعية والتصوير الكامل الإسلامي بجميع أبعاده يضبط تفصيلات العلوم النفسية والتربوية وجزئياتها، إضافة إلى الإمام بأصول الفقه والقواعد الكلية التي يتوصل إليها الباحث في العلوم النفسية والتربوية إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية، ونحن بحاجة إلى التوجيه في كثير من الممارسات والتطبيقات وفق الأصل والتأسيس التي سارت عليه العلوم المختلفة، فالدراسات الواقعية والآليات والإجراءات ينبغي توجيهها وجهة إسلامية، لذا ينبغي التوازن في الطرح بين التأسيس والتوجيه، واعتبار أن المصطلحين عبارة عن مرحلة تجديد في الفكر والوعي الإسلامي وشعور بأهمية إخضاع جميع العلوم لمعايير شرعية ريبانية.

الوضع الحالي لعلم النفس في البلاد الإسلامية

إن علم النفس، وجميع العلوم الإنسانية الأخرى، التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية، هي علوم غربية فلسفتها ووجهتها، أسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين، على أساس نتائج بحوث ودراسات أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة، لها أساليبها الخاصة في الحياة والتفكير، ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الحياة، وفي طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة وغاياته منها، ولها معاييرها الخاصة في دور الدين في حياة الإنسان (نجاتي، 1987)..

ولا شك في أن لهذه العوامل تأثيراً كبيراً في توجيه الدراسات النفسية التي تجري في هذه المجتمعات، في الأغلب، إلى دراسة موضوعات تتفق مع ما لديها من تصور عن طبيعة الإنسان، ورسالته في الحياة، وغاياته منها، وما هو سائد فيها من ثقافة ومعايير وقيم، ولنذكر بعض الأمثلة القليلة لتوضيح هذه الفكرة (النجاتي، 1993). إن اهتمام (سيجمند فرويد)، مثلاً، بالفريزة الجنسية في دراسته لأسباب الأمراض النفسية، إنما يرجع في الأغلب، إلى ثقافة العصر الذي عاش فيه، والتي كانت تنظر إلى الجنس نظرة استقذار، وترى أنه يجدر بالإنسان الفاضل أن يقاوم رغباته الجنسية، وأن يكبتها، وكان لذلك أثره في توجيه اهتمام فرويد بالجنس بطريقة مبالغ فيها إلى درجة كبيرة، بحيث فسر المرض النفسي على أنه ناشئ عن كبت الدافع الجنسي، وقام فرويد بوضع نظرية في الشخصية كان للنمو النفسي دور أساس وهام فيها، ومن الملاحظ أيضاً أن تمجيد الثقافة الأمريكية المعاصرة للإنجاز في العمل، وتقويمها العظيم للتنافس والتفوق والنجاح، قد أدى إلى ظهور كثير من الدراسات في المجتمع الأمريكي حول الدافع إلى الإنجاز، ومستوى الطموح، والتنافس، ويلاحظ أيضاً أن علماء النفس المحدثين في المجتمعات الغربية، تمشيًا مع الاتجاه المادي الذي يغلب على فلسفتهم في الحياة، يهملون أثر الدين والإيمان والنواحي الروحية في الصحة النفسية، ويركزون اهتمامهم في دراسة مؤثرات الصحة النفسية على الكفاءة والفعالية في كثير من أمور الحياة الواقعية اليومية، مثل قدرة الفرد على الاستمتاع بعلاقاته الاجتماعية، وقدرته على إشباع حاجاته المادية والدينيوية، ونجاحه في عمله وفي حياته الزوجية، وهم يفتنون ما للدين والإيمان بالله تعالى من أهمية في الصحة النفسية للإنسان، وفي التخلص مما يعانيه الإنسان المعاصر في الغرب من ضياع وقلق، مما أدى إلى انتشار الجريمة، والانتحار، وإدمان المخدرات، والإصابة بالأمراض النفسية والعقلية.

إن ثقافة المجتمع وقيمه، وفلسفته في الحياة، وتصوره للإنسان وللكون، ورسالة الإنسان في الحياة وغايته منها، لا تؤثر فقط في توجيه الدراسات النفسية إلى اختيار موضوعات البحث، وإنما تؤثر أيضاً في تفسيره لنتائج هذه الدراسات، فالنزعة المادية التي تسيطر على الفكر الغربي تظهر بوضوح في تفسير علماء النفس للظواهر السلوكية والنفسية تفسيراً مادياً بحثاً، بل إن كثيراً من علماء النفس الغربيين يجعلون من دراسة سلوك الحيوان مدخلاً لفهم سلوك الإنسان، مغفلين ما يميز به الإنسان على الحيوان من قوى روحية تؤثر تأثيراً كبيراً على نواح كثيرة من شخصيته وسلوكه، بحيث يصبح من غير المنطقي أن نفسر سلوك الإنسان على أساس نفس المبادئ المادية التي نفسر بها سلوك الحيوان، وقد قام بعض علماء النفس المحدثين في السنوات الأخيرة، من المنتمين إلى مدرسة علم النفس الإنساني، بنقد هذا المنهج التقليدي في علم النفس، ونادوا بضرورة دراسة السلوك الإنساني مباشرة، دون الحاجة إلى الاستعانة في ذلك بدراسة سلوك الحيوان، وقد نادى بعضهم أيضاً مثل (إبراهام ماسلو)، بضرورة الاهتمام بالنواحي الروحية في دراسة سلوك الإنسان.

إن علم النفس، والعلوم الإنسانية الأخرى، التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية، لم تخضع للتحليل النقدي لمعرفة مدى اتفاق مفاهيمها ونظرياتها مع المبادئ الإسلامية، فقد نقلت مقررات هذه العلوم من الجامعات الغربية دون أدنى تمحيص أو تحليل لما تتضمنه من مسلمات وفروض ومفاهيم وقيم، ودون أدنى تفكير في مدى اتفاقها مع مبادئنا وقيمنا الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أن علماءنا الذين تخصصوا في هذه العلوم هم - في الأغلب - علماء درسوا في الجامعات الغربية، وتعلموا على علماء غربيين، وهم في الأغلب أيضاً يجهلون تراثهم الإسلامي، أو على الأقل على غير إمام دقيق به، ولذلك فهم في غالبيتهم العظمى عاجزون عن التحليل النقدي لنظريات هذه العلوم، ولما تتضمنه من مسلمات وفروض على أساس مبادئ الإسلام، لمعرفة مدى اتفاقها أو عدم اتفاقها معها،

وحتى إذا فطن بعض هؤلاء العلماء، أحياناً، إلى بعض نظريات هذه العلوم التي لا تتفق مع المبادئ الإسلامية فإنهم يجدون أنفسهم عاجزين عن تقديم نظريات أخرى بديلة تتفق مع المبادئ الإسلامية، أو على الأقل، لا تتعارض معها، وذلك بسبب جهلهم بمبادئ الإسلام، والتراث العلمي الإسلامي من جهة، وبسبب عدم وجود دراسات حديثة مماثلة أُجريت في المجتمعات الإسلامية على أساس مسلمات وفروض مستمدة من المبادئ الإسلامية، أو على الأقل لا تتعارض معها، من جهة أخرى (المقري، 1989).

إن هذا الوضع المؤسف لعلم النفس، ولجميع العلوم الإنسانية الأخرى، في جامعاتنا الإسلامية، يرجع إلى عديد من العوامل التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، ولعل من "أهم هذه العوامل نظام ثنائية التعليم، وتشعبه إلى شعبتين: شعبية علمانية (أو حديثة)، وشعبية إسلامية (أو تقليدية) كما يقال، قد أدى هذا النظام التعليمي إلى إبعاد كثير من شباب الأمة الإسلامية عن الدراسة الدقيقة للإسلام، والتشعب بروح العقيدة الإسلامية، كما أدى أيضاً إلى إبعاد قطاع آخر كبير من شباب الأمة الإسلامية الذين يتلقون العلم في المعاهد والجامعات الإسلامية عن الدراسة الدقيقة للعلوم الحديثة."

"إن هذا التشعب الثنائي للتعليم لم يكن معروفاً في البلاد الإسلامية من قبل. ففي عصور ازدهار الثقافة، وتقدم المعارف والعلوم الإسلامية، لم يكن هناك فصل بين الدين والعلم، فقد كان نظام التعليم في البلاد الإسلامية يقضي بالبدء في تعليم الطفل العلوم الدينية، ثم التدرج معه في تعليم العلوم الأخرى والمهن والحرف والصناعات، ولم يكن هناك فصل بين علوم الدين والعلوم الأخرى. ولذلك نجد أن العلماء العظام من السلف الصالح كانوا متبحرين في العلوم الدينية بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالطب والكيمياء، والرياضيات والفلك.. إلخ" (يوسف، 1984).

إن تشعب التعلم إلى شعبة علمانية وشعبة دينية، هو في أساسه نظام غربي، نشأ نتيجة عوامل تاريخية خاصة مرت بالبلاد الأوربية النصرانية خلال القرون الوسطى، عانت فيها كثيراً من سيطرة نفوذ الكنيسة ومعاداتها للإبداع الفكري والعلمي، واضطهادها للمفكرين والعلماء مما أدى إلى رد فعل مضاد، ظهر بوضوح أثناء عصر النهضة الأوربية الحديثة، حيث اندفع العلماء إلى التحرر من سلطة الدين الذي تمثله الكنيسة، وإلى الإيمان المطلق بسلطة العقل وحده، وإلى التمسك بحريته المطلقة في التفكير والبحث، لقد قطع العلماء في البلاد الأوربية علاقتهم بالدين، وأطلقوا العنان لعقولهم في البحث عن الحقيقة، مؤمنين بأن العقل وحده، عن طريق البحث العلمي المنظم، هو السبيل الوحيد لتحصيل المعرفة، وللوصول إلى الحقيقة، وقد أدى هذا الاتجاه إلى جعل التعليم في المدارس والجامعات علمانياً بحثاً، وإلى انحصار التعليم الديني في بعض المدارس والجامعات الدينية فقط (الهاشمي، 1984).

ولما قامت الدول الأوربية بغزو البلاد الإسلامية واستعمارها، في فترة ضعف هذه البلاد وتخلفها، عملت على تفكيك وحدة هذه البلاد للقضاء على ما بقي في هذه البلاد من قوة، فقامت بتقسيمها إلى دويلات، وعملت أيضاً على إضعاف روح الإسلام في هذه البلاد الذي يعتبر المنبع الأساسي الذي يبث فيها القوة والحيوية والعزة، وذلك بإدخال نظام التعليم الثنائي فيها، فقد قامت بتشعب التعليم فيها إلى تعليم علماني (أو حديث)، وتعليم ديني، وقد انحصر التعليم الديني في معظم البلاد الإسلامية في المعاهد والجامعات الدينية فقط، أما بقية المدارس والجامعات الأخرى، فقد وضع لها نظام التعليم العلماني المقتبس من الغرب، وقد نجح الاستعمار في ذلك إلى حد كبير، فإن نظام التعليم الحالي في بلادنا أدى إلى إبعاد الغالبية العظمى من شبابنا عن الإسلام، فهم لا يتلقون في المدارس والجامعات إلا النزر اليسير من التعليم الديني، الذي لا يعطي الطالب المسلم المعلومات الكافية لكي يكون على معرفة صحيحة بالإسلام، وفي نفس الوقت

الذي يجهل فيه الطالب في مدارسنا مبادئ الإسلام وقيمه، ينهال عليه كثير من المبادئ والمفاهيم والقيم الواردة من الغرب، سواء عن طريق المناهج الدراسية، أو وسائل الإعلام المختلفة، أو عن طريق التعرض في حياته اليومية لوسائل التقنية الغربية المختلفة في جميع مرافق الحياة، وقد أدى ذلك إلى وقوع كثير من شبابنا في حيرة وبلبلة بين ما يتلقاه في البيت والمدرسة من المبادئ والقيم الإسلامية، رغم قلتها، وبين المبادئ والقيم الواردة إليه من الغرب، ولما كان الطالب المسلم العادي لم يتلق من التعليم الديني قدرًا كافيًا، فهو ليس في وضع يمكنه من مواجهة تيار المبادئ والأفكار والنظريات المغرضة والمنافية لروح الإسلام، مما يوقعه في حيرة وبلبلة، وقد يؤدي به ذلك إلى فقدانه لهويته الإسلامية، فينجرف في تيار تقليد الغرب في عاداتهم وقيمهم" (كريس مورن، 1964). ما يتعرض له الشباب في البلاد العربية من صراع حضاري بسبب، ان تعارض بين أساليب الحياة والتفكير والقيم السائدة في المجتمعات العربية الإسلامية من جهة، وكثير مما يرد إليهم من الغرب من أساليب الحياة والتفكير والقيم الجديدة التي أفرزتها الحياة الثقافية الحديثة للمجتمعات الصناعية في الغرب من جهة أخرى إن الوضع الحالي المؤسف لتدريس علم النفس والعلوم الإنسانية في البلاد الإسلامية قد دفع مجموعة من أساتذة الجامعات والعلماء والمفكرين المسلمين من مختلف البلاد العربية والإسلامية إلى التفكير في إيجاد حل لهذه المشكلة فقاموا بعقد المؤتمرات والندوات العلمية لبحث هذه المشكلة، بهدف التعرف على أسبابها، واقتراح الحلول لها كما أذكر أيضاً (الجمال، 1994).

التأصيل الإسلامي لعلم النفس

إن الوضع الحالي المؤسف لتدريس علم النفس في جامعاتنا الإسلامية، وهو ما شرحناه بالتفصيل فيما سبق، يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بتأصيله إسلامياً، ونقصد بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس، إقامة هذا العلم على أساس التصور الإسلامي للإنسان، وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية،

بحيث تصبح موضوعات هذا العلم وما يتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام.

ومن الضروري للقيام بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس إعادة النظر في مقررات علم النفس التي تدرس الآن في جامعاتنا الإسلامية، وإخضاعها للتحليل النقدي الدقيق لمعرفة مدى اتفاق أو اختلاف موضوعاتها، ومفاهيمها، ونظرياتها مع مبادئ الإسلام، فما كان منها مُخالفًا أو معارضًا لمبادئ الإسلام، وجب تعديله وتغييره، أو حذفه، وما كان منها موافقًا لمبادئ الإسلام، أو غير متعارض معها، أبقينا عليه.

ومن الضروري أيضاً أن نوجه البحوث الجديدة في علم النفس التي تجري في مجتمعاتنا الإسلامية وجهة إسلامية، من حيث اختيار موضوعاتها داخل إطار التصور الإسلامي للإنسان، وداخل إطار التصور الإسلامي للدور الوظيفي للعلم في حياة الفرد والمجتمع، إن وظيفة العلم من وجهة النظر الإسلامية، هي الكشف عن آيات الله تعالى وسننه في الكون، وفي الإنسان، وفي جميع مخلوقات الله تعالى من أجل معرفة عظمة قدرة الله عز وجل في بديع خلقه، مما يثبت في قلوبنا الإيمان الصادق بألوهيته وربوبيته ومن أجل الاستعانة بهذه المعرفة في عمارة الأرض التي استخلفنا الله تعالى فيها، والعمل على الرقي بالإنسان وبالمجتمع الإنساني إلى أعلى مراتب الحضارة الإنسانية، مما يكفل له الحياة الآمنة مطمئنة ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة (زياد، 2002).

أهداف علم النفس من وجهة نظر إسلامية:

وبناء على ما تقدم، فإن أهداف علم النفس من وجهة نظر إسلامية هي الكشف عن آيات الله تعالى وسننه في الإنسان، أي الكشف عن المبادئ والقوانين التي تنظم سلوك الإنسان في الحياة وفق مشيئة الله تعالى، ومعرفة المنهج الأمثل لحياته، وفق هذه السنن الإلهية، مما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، ومعرفة أسباب انحراف الإنسان عن الحياة المثلى السوية، مما يسبب له

القلق، والشقاء والمرض النفسي، وسوف تجعلنا هذه المعرفة أقدر على فهم الإنسان، وأكثر فعالية في إرشاده، وتوجيهه، وتعديل سلوكه، وتنظيم حياته.

خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

لقد تشعب علم النفس الحديث إلى تخصصات كثيرة، وكثرة البحوث في كل هذه التخصصات إلى درجة هائلة، بحيث أصبح من المستحيل على شخص واحد، مهما أوتي من مقدرة علمية، أن يحيط إحاطة كاملة بكل الموضوعات في جميع هذه التخصصات المختلفة، ولذلك فإنه من الضروري أن يتعاون فريق من علماء النفس من جميع تخصصات علم النفس المختلفة في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

ومن الضروري أيضاً أن يتعاون مع علماء النفس في هذه المهمة فريق من علماء الشريعة وأصول الفقه، لتسهيل عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وذلك بإلقاء الضوء على ما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتعلق بالموضوعات التي يبحثها علم النفس، مما يمكن من المقارنة بين طرق تناول هذه الموضوعات في كل من الأصول الإسلامية وعلم النفس، ومثل هذه المعرفة، لا شك خطوة هامة ورئيسية في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، إذ على ضوءها يمكن تحليل موضوعات علم النفس الحديث لمعرفة مدى اتفاقها مع مبادئ الإسلام، أو اختلافها عنها، فما هو يتفق مع مبادئ الإسلام، أو ما هو غير متعارض معها، يقبل ويبقى عليه، وما هو متعارض مع مبادئ الإسلام، يعدل أو يرفض.

ومن الضروري أن يعمل فريق علماء النفس، وعلماء الشريعة وأصول الفقه وفق خطة معينة، توضع خطواتها بدقة، بحيث تؤدي في النهاية إلى الغاية المرجوة. وفيما يلي تصوّر لخطة التأصيل الإسلامي لعلم النفس (سقا، 2001).

أولاً: المسلّمات

إن الخطوة الأولى في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس هي الاتفاق على المسلّمات التي تعتبر الأصول التي نهتدي بها في تحليلنا النقدي لموضوعات علم النفس الحديث لمعرفة ما يمكن قبوله منها، وما لا يمكن قبوله، والتي على أساسها أيضاً تقوم بحوثنا الجديدة في علم النفس التي يجب أن يراعى فيها أن تكون متفقة مع مبادئ الإسلام، ومع التصور الإسلامي الصحيح للإنسان، وأهم هذه المسلّمات:

1. الإيمان بالله تعالى:

إن الإيمان بالله تعالى هو الأصل الأول، والقاعدة الأساسية التي يعتمد عليها كل نشاط إنساني، ويصدر عنها كل عمل، ويتجه إليها كل تفكير. والإيمان بالله تعالى أمر فطري في الإنسان، فهو يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون، وإلى عبادته والتوسل إليه، والالتجاء إليه، والاستعانة به عندما تحيط به الأخطار، وهو يجد في حمايته ورعايته الأمن والطمأنينة

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأساس الفطري للإيمان بالله في قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم آية 30). وتبين هذه الآية الكريمة أن في فطرة الإنسان استعداداً فطرياً لإدراك بديع مخلوقات الله تعالى، والاستدلال منها على وجوده والإيمان به، وتوحيده وعبادته

ويتضح أيضاً وجود أساس فطري في الإنسان لمعرفة الله تعالى، والإيمان به، وتوحيده، وعباده من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الاعراف: آية 172).

فالاعتراف بريوبية الله تعالى، وتوحيده، وعبادته عقيدة متأصلة في فطرة الإنسان وموجودة منذ الأزل في أعماق روحه.

وأشار الحديث النبوي أيضاً إلى أن للإيمان بالله تعالى أساساً فطرياً في طبيعة الإنسان، قال الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ بِبَيْهَمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ"

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً في حديث آخر: "كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا" وبدل هذان الحديثان الشريفان على أن في الإنسان استعداداً فطرياً للإيمان بالله تعالى وتوحيده، غير أن هذا الاستعداد الفطري يحتاج إلى ما يظهره وينميه من تعليم وتوجيه وإرشاد من البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد.

ولقد أرسل الله تعالى رسله وأنبياءه إلى الناس لهدايتهم إلى الإيمان بألوهيته وربوبيته "والمسلم يؤمن بالله تعالى لأنه "عز وجل" أخبرنا في القرآن الكريم المنزل على نبيه خاتم المرسلين محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بألوهيته وربوبيته، قال الله تعالى في تعظيم ألوهيته وربوبيته، وذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العليا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمُّ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤-٢٣﴾ (الحشر: آية 23-24).

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْعِرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ (الاعراف: آية 54).

2. الإيمان بالملائكة ويكتب الله تعالى ورسله واليوم الآخر:

لقد أمرنا الله تعالى بالإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، قال الله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ ءَالَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيدًا﴾ (النساء آية 136)

وقد وكل الله تعالى الملائكة بوظائف تتعلق بالإنسان فمنهم من يحفظونه ويدفعون عنه الأذى، وبخاصة أذى الجان والشياطين، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرَ اللّٰهُ﴾ (الرعد آية 11). ومنهم من يراقبونه، ويكتبون أعماله، قال الله تعالى: ﴿إِذْ نَلَقْنَا الْمُتَلَفِّيْنَ عَنِ الِّيمِيْنَ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيْدٌ﴾ (ق: آية 17-18).

وقال عليه الصلوة والسلام أيضاً: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ، الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأَ الصُّحُفَ، وَاسْتَمْعُوا الْخُطْبَةَ.. الْحَدِيثَ (نجاتي، 1987).

3. معرفة الحقيقة:

هناك طريقان يمكن أن يصل بهما الإنسان إلى معرفة الحقيقة، هما العقل والوحي، أما فيما يتعلق بالعقل الإنساني فإن له وسائل معينة محددة لمعرفة الحقيقة، فهو يستعين بالحواس في الملاحظة والإدراك، ويستعين بالذاكرة لحفظ ما اكتسبه من معلومات، لاستعادتها عندما يشاء، ويستعين بالتخيل في تناول معلوماته الحسية في عمليات التجريد والتعميم، والتأليف والتحليل، التي تتضمنها عمليات التفكير والاستدلال العقلي، وعن طريق عمليات التفكير والاستدلال العقلي يمكن للعقل الإنساني أن يصل إلى معرفة بعض الحقائق حول آيات الله تعالى وسننه الكونية، وهذا هو طريق منهج البحث العلمي الذي يتبعه العلماء في بحوثهم العلمية، غير أن الوسائل التي يستخدمها العقل في معرفة الحقيقة ليست معصومة من الخطأ، فقد يقع الخطأ في مرحلة الملاحظة والإدراك، أو في مرحلة التذكر والتخيل، أو في مرحلة التفكير، وفي دراسات علم النفس أمثلة كثيرة تبين حوادث الخطأ في كل خطوة من هذه الخطوات التي تتكون منها عملية

اكتساب المعرفة العلمية، ولهذا السبب، فإن العلماء إدراكاً منهم لمصادر الخطأ هذه في عملية اكتساب المعرفة العلمية، لا يعتبرون النتائج التي يصلون إليها من بحوثهم العلمية صحيحة بصورة يقينية، بل إنهم يقولون إنه من المحتمل أن تكون صحيحة، وقد اصطالحوا على أن يذكروا مستوى درجة احتمال صحة نتائجهم بذكر مقياس إحصائي معين، يعرف بمستوى الدلالة الإحصائية، وكلما كانت درجة احتمال صحة نتائجهم أكبر، كانت درجة قربها من الحقيقة أكبر، ودرجة قبول العلماء لها أعظم، ولكنها على أية حال لا تصل أبداً إلى درجة الصحة اليقينية المطلقة، وخاصة في مجال العلوم الإنسانية.

إن قدرة العقل الإنساني على تحصيل المعرفة، واكتساب العلم محدودة، فهو من جهة لا يستطيع أن يحيط علماً بجميع الحقائق العلمية، ولا أن يصل فيما يعلمه منها إلى اليقين المطلق، كما أنه من جهة أخرى لا يستطيع أن يعرف الحقائق الغيبية. ﴿وَمَا أُوتِئْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الاسراء: آية 85).

ولذلك، كان الناس في حاجة إلى أن يبعث الله تعالى إليهم الرسل والأنبياء، من فترة إلى أخرى، لتعليمهم وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: آية 25).

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ (البقرة آية 213).

إن العلم الذي نصل إليه عن طريق العقل، والعلم الذي نصل إليه عن طريق الوحي، يجب أن يكونا متفقين، وغير متعارضين، لأن الحقيقة واحدة، ولأن مصدر العلم من كل هذين الطريقتين واحد، هو الله سبحانه وتعالى، لقد زود الله تعالى الإنسان بأدوات المعرفة من الحواس والعقل لكي يعرف بهما الحقيقة، وأمرنا الله تعالى أن نسعى في الأرض، ونلاحظ ما في الكون من مخلوقات وأن

نبحث ونفكر فيما نرى، وفي ذلك تكليف واضح من الله تعالى بالبحث العلمي عامة، وبالبحث التجريبي خاصة (المقري، 1989).

إن الله سبحانه وتعالى هو المحرك والموجه والمنظم لكل شيء في هذا الوجود، والعقل الإنساني جزء من هذا الوجود، فهو يعمل وفق مشيئة الله تعالى وقدرته وتوجيهه، فحينما يفكر الإنسان من أجل الوصول إلى معرفة حقيقة ما، فإن الله عز وجل قادر - إن شاء - أن يوجه تفكيره إلى الوصول إلى معرفة هذه الحقيقة لا يوجهه إلى معرفتها.

إن الحقيقة التي يصل إليها العقل الإنساني في أمر ما يجب أن تكون متفقة مع الحقيقة التي يخبرنا بها الوحي عن هذا الأمر، فإذا لم يتفق العقل مع الوحي، فإن سبب ذلك يرجع إلى أحد أمرين: إما إلى خطأ العقل، وإما إلى خطأ في فهمنا للوحي، وفي هذه الحالة يجب علينا أن نعيد البحث في الموضوع، وأن نقوم بتحسين أسلوبنا في التفكير، وأن نحرص على تجنب الخطأ في ملاحظتنا واستنتاجاتنا، كما يجب أيضاً أن نحسن فهمنا وتفسيرنا لما جاء به الوحي

4. خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح:

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى خلق الإنسان من مادة وروح:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَكِينًا ﴾ (ص: آية 71-72). فالإنسان، إذن، يجمع في طبيعة تكوينه بين صفات الحيوان وصفات الملائكة، بين الحاجات والدوافع الفطرية الغريزية الضرورية لحياة بدنه وبقاء نوعه، والتي يشارك فيها بقية الحيوان، والحاجات والأشواق الروحية التي تدفعه إلى التقرب إلى الله تعالى بالعبادات والطاعات، وتنزع به إلى السمو النفسي مما يقربه من صفوف الملائكة، وبهذه القبسة من روح الله تعالى في طبيعة تكوين الإنسان، فإنه يتميز عن بقية مخلوقات الله تعالى، وأصبح أهلاً لتحمل الرسالة التي كلفه الله تعالى بها، وهي عبادته وحده، والخلافة في الأرض، والعمل على عمارتها، وتحصيل العلوم والمعارف وتسخيرها في عمارة

الأرض، والتمسك بالقيم والمثل العليا، والسعي الدائب نحو السمو النفسي (النجاتي، 1987).

ومن الواضح أن التسليم بحقيقة خلق الإنسان من مادة وروح تؤدي بنا إلى رفض المفاهيم والنظريات الموجودة في علم النفس التي تعتمد على نظرية التطور لدارون في صورتها الفجة الشائعة، والتي تذهب إلى أن الحيوانات العليا، بما فيها الإنسان، قد تطورت عبر عصور التاريخ القديمة، عن حيوانات أدنى، فالإنسان الأول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد خلقه الله تعالى منذ البداية على صورته، ولكن هذا لا يعني أننا ننكر مفهوم التطور كحقيقة علمية، وسنة من سنن الله الكونية التي يجب أن ندرسها في صورتها العلمية الحقيقية، فالإنسان مثلاً، وكذلك الحيوان، يمر تكوينه وهو جنين في بطن أمه في عدة مراحل من التطور حتى يكتمل تكوينه على الهيئة التي أرادها الله تعالى له، ويمر الوليد بعد الميلاد بعدة مراحل من أطوار النمو حتى يبلغ كمال نموه ونضجه، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ (نوح: آية 14).

ثم إن الإنسان منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد مر بسلسلة طويلة من مراحل التطور الاقتصادي، والسياسي، والثقافي، والحضاري حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم من تقدم في مختلف فروع العلوم، والآداب، والفنون، والصناعات، ونظم الحكم.

إن التسليم بحقيقة خلق الإنسان من مادة وروح، كما جاء في القرآن الكريم، وما أخبرنا به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تؤدي بنا أيضاً إلى رفض جميع النظريات التي تفسر سلوك الإنسان على أساس مادي ميكانيكي بحت، والتي تغفل تأثير النواحي الروحية في سلوك الإنسان.

ومن الطبيعي أن ينشأ عن تعارض بعض مطالب وحاجات العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان، المادة والروح، نوع من الصراع النفسي الذي يعاني منه كثير من الناس، ويصبح من الضروري على الإنسان أن يعمل على تحقيق قدر

معقول من التناسق والتوازن بينهما، إذا يتوقف تحقيق الشخصية السوية، والصحة النفسية على ذلك، وهذه الحقيقة تستلزم منا أيضاً إعادة النظر في مفاهيم علماء النفس المحدثين عن الشخصية السوية، والصحة النفسية، ومؤثرات الصحة النفسية.

5. الإنسان خير بطبيعته

إن في الإنسان استعداداً فطرياً لتمييز الخير من الشر، والحلال من الحرام، والحق من الباطل، وقد أشار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه الحقيقة بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ..".

ويميل الإنسان فطرياً إلى فعل الخير، ويشعر بالارتياح لفعله، كما يميل فطرياً إلى تجنب الشر، ويشعر بعدم الارتياح وعدم الرضا لفعله، وقد أشار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه الحقيقة بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ".

وقد ذهب بعض علماء النفس المحدثين مثل سيجمند فرويد ولورنز إلى أن في الإنسان غريزة للعدوان، وهو رأي لم يوافقهم عليه بعض علماء النفس الآخرين مثل ماسلو، وفروم الذين ذهبوا إلى أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتشائمة عن طبيعة الإنسان، وقاموا، على العكس، بتأكيد النواحي الخيرة والإيجابية في الطبيعة الإنسانية "ومن الواضح أن التصور الإسلامي للإنسان لا يقبل رأي فرويد وغيره من علماء النفس الذين يذهبون إلى أن في الإنسان ميلاً فطرياً إلى العدوان والشر، كما أنه لا يقبل رأي بعض علماء الاجتماع وعلماء الجريمة مثل سيزار لومبروزو وغيره الذين يذهبون إلى أن بعض الأفراد يولدون مجرمين بالوراثة (جلال، 1984).

ويؤيد التصور الإسلامي للإنسان الرأي الذي يذهب إلى أن الإنسان خير بالفطرة. غير أن الإنسان، مع ذلك، قد يقع تحت تأثير بعض العوامل التربوية

والاجتماعية غير الملائمة مما يطمس فيه استعداده الفطري للخير، ويغرس فيه بذور الشر والعدوان، ويدفعه إلى فعل الشر وارتكاب الجريمة فكما أن في الإنسان استعداداً فطرياً للخير، ففيه أيضاً استعداد فعل الشر إذا وجد في ظروف تربوية واجتماعية يتعلم منها الأخلاق الرذيلة، وأفعال الشر والرذيلة.

6. الإنسان حر الاختيار والإرادة:

وكما اختص الله تعالى الإنسان بالعقل الذي يميز به بين الخير والشر، والحق والباطل، والحسن والقبيح، كما ذكرنا من قبل، فقد ميزه أيضاً عن سائر المخلوقات بحرية الاختيار والإرادة.

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف، آية 29).
 ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس، آية 7-10).

لقد ذكرنا من قبل أن الإنسان يميل بالفطرة إلى فعل الخير، وتجنب الشر، ونحن إذا سلمنا بذلك، فإن النتيجة المنطقية التي تتبع ذلك، هي أن الإنسان إذا وضع موضع الاختيار بين الخير والشر، فإنه سوف يختار الخير، ويتجنب الشر وفقاً لميله الفطري، وعندئذ لا يكون هناك، في الواقع اختيار أصلاً، غير أن الأمر، في الحقيقة، ليس بهذه الصورة السهلة، فالإنسان في الواقع يحيط به كثير من قوى الشر، وعلى رأسها وأهمها الشيطان الذي لا يترك الإنسان وحده أبداً ليعمل وفق فطرته، وإنما هو دائم التدخل لإغرائه لفعل الشر بكل ما لديه من وسائل الإغراء، قال الله تعالى:

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَكَ مَصْرُوكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْزِلَنَّكَ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الاعراف: آية 16-17).

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف: آية 5). وفي مثل هذه المواقف التي يزين فيها الشيطان للإنسان طريق الشر، تظهر قدرة الإنسان على الاختيار، بين طريق الخير الذي يميل إليه بفطرته، وبين طريق الشر الذي يغيره به الشيطان ويزينه له، ولعل الصراع النفسي الذي يعاينه الإنسان في مثل هذه المواقف، هو نوع من البلاء الذي يبثلي الله تعالى به المؤمنين لاختبار صدق إيمانهم، وقوة ثباتهم على التقوى، ولعل هذه المعاناة في أمثال هذه المواقف من الاختيار هو جزء من الكبر الذي يعاينه الإنسان في حياته الدنيا، والذي يشير إليه الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: آية 4).

إن من ينجح في أمثال هذه المواقف من الاختيار، بالتغلب على نوازغ الإثم والشر التي يثيرها الشيطان فيه، والانصياع إلى وازع الخير في فطرته، فيتجنب الإثم والشر، ويختار الخير والفضيلة والعفة، وما يأمر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه سيفوز برضا الله تعالى في الدنيا والآخرة، أما من ينقاد إلى فعل ما يزينه له الشيطان وأعدائه من شياطين الجن والإنس من الإثم والشر، فإنه يجازى بسخط الله تعالى عليه في الدنيا، وبعذابه في الآخرة.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَمِيَّةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْحَمِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: آية 37-41).

وتتبع حرية الاختيار: حرية الإرادة، أي حرية اتخاذ الوسائل الكفيلة بالتنفيذ.

فالاختيار هو مجرد تفضيل أحد الأمرين على الآخر، وقد يظل الاختيار مجرد رأي أو رغبة، دون أن ينتقل إلى دائرة التنفيذ في الواقع، ولذلك كان من الضروري أن يكون الإنسان أيضاً ذا إرادة حرة في تنفيذ الاختيار المفضل.

إن حرية الإنسان في الاختيار والإرادة هما أساس مسؤوليته القانونية عن أعماله، وهي أيضاً أساس مسؤوليته أمام الله تعالى في الآخرة.

7. القرآن والحديث مصدران أساسيان لمعلوماتنا اليقينية عن الإنسان:

إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما المصدران الأساسيان اللذان نستمد منهما معلوماتنا اليقينية عن الإنسان.. فالله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان، هو أعلم بطبيعته، وأسرار تكوينه، وخفايا نفسه، وحقيقة صفاته وأحواله.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: آية 14).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق: آية

16).

لقد نزل القرآن الكريم لهداية الإنسان ولتعليمه، وتنظيم حياته، إنه كتاب نزل أساساً للإنسان، ويهدف أساساً لإصلاح الإنسان، ولذلك، فإننا نجد فيه وصفاً لأحوال النفس الإنسانية، ولأسباب انحرافها ومرضها ولطرق تربيتها وتهذيبها وعلاجها، وكثيراً من الحقائق عن الإنسان، وحياته (نجاتي، 1987).

منهج التأصيل الإسلامي

أولاً: التمكن من علم النفس الحديث:

إن من يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس يجب أن يكون متمكناً من هذا العلم تمكناً تاماً، وعلى معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم، وتطوره التاريخي، ومناهجه في البحث وإسهاماته ونتائجه ونظرياته، والمشكلات التي تجرى حولها البحوث في الوقت الحاضر، ولما كان علم النفس الحديث قد تشعب إلى فروع وتخصصات كثيرة، يصعب على عالم واحد أن يتمكن منها جميعاً تمكناً دقيقاً، فقد أصبح من الضروري أن يشترك في التأصيل الإسلامي لعلم النفس فريق من علماء النفس المتخصصين في مجالات التخصص المختلفة من مختلف الجامعات الإسلامية.

وسوف تكون هناك صعوبات إدارية، وتنظيمية تتعلق بتسيق مجهودات هؤلاء العلماء وتوجيهها في فريق بحث موحد المسار من حيث منهجه وأهدافه.

ويبدو أن الحل الأمثل لهذه المشكلة هو أن تقوم هيئة علمية معينة، كإحدى الجامعات، أو أحد مراكز البحوث، بمهمة الإشراف على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وتتولى عملية تنظيم الاتصال بعلماء النفس المهتمين بهذا الموضوع في جامعات البلاد الإسلامية، وتقوم بدعوتهم إلى الاشتراك في هذه المهمة، وتقوم بمكافأتهم على ذلك مكافأة مجزية (أبو حطب، 1984).

وتتكون الخطوة الأولى من عملية تأصيل كل موضوع من هذه الموضوعات من كتابة مقال أو تقرير يشمل الصورة النهائية التي وصل إليها العلم في هذا الموضوع، ويبين تطوره التاريخي، والمناهج التي استخدمت فيه، والنتائج التي توصل إليها،

ثانياً: التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية:

من الضروري، أيضاً، لمن يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس أن يكون على معرفة دقيقة بالأصول والمبادئ الإسلامية، حتى يستطيع أن يبحث عما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتعلق بموضوعات علم النفس، وإجراء المقارنة بينها لمعرفة ما يوجد بينها من أوجه الاتفاق والاختلاف.

ولما كان علماء النفس، في الأغلب، غير ملمين إماماً كافياً بالأصول والمبادئ الإسلامية، فإنه يصبح من الضروري أن يستعينوا بمجموعة من العلماء المتخصصين في الشريعة وأصول الفقه، ليقوموا بمهمة الكشف عما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتصل بموضوعات علم النفس، إن التقارير التي أعدت في الخطوة الأولى سوف تكون مفيدة لعلماء الشريعة وأصول الفقه لإعطائهم فكرة واضحة عن موضوعات علم النفس التي سيقومون بالبحث عما يتصل بها في الأصول الإسلامية.

ثم ترتب هذه الموضوعات التي تجمع من الأصول الإسلامية، وتبويب على نسق تبويب موضوعات علم النفس حتى يسهل على علماء النفس مقارنتها بموضوعات علم النفس، ومعرفة ما يوجد بينها من أوجه الاتفاق والاختلاف.

ثالثاً: إن القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف هما الأعلان الإسلاميان

الرئيسيان اللذان يجب أن يدرسا دراسة مستفيضة لاستقصاء كل ما جاء فيهما من مفاهيم نفسية، وموضوعات تتعلق بالحياة النفسية للإنسان، وخصائص سلوكه، والعوامل التي تؤثر في شخصيته، وأسباب سعادته وشقائه، وسوائه وانحرافه، وطرق تربيته وتهذيبه، وتعديل سلوكه، ولا شك في أن دراستنا لما جاء عن هذه الموضوعات في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف سوف يمدنا بفهم صحيح للتصور الإسلامي للإنسان، وهو أمر هام جداً في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، إذ إنه يعطينا معياراً رئيسياً يمكن على أساسه مراجعة موضوعات ونظريات علم النفس لمعرفة مدى اتفاقها أو عدم اتفاقها مع التصور الإسلامي للإنسان، وقد قام الباحث بهذه الدراسة من قبل، وأصدر عنها كتابيه اللذين سبق أن أشار إليهما، وهما: "القرآن وعلم النفس"، و "الحديث النبوي وعلم النفس"، وقد تضمن هذان الكتابان ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف متعلقاً بحاجات الإنسان ودوافعه، وانفعالاته، وإدراكه الحسي والعقلي، والمبادئ التي تنظم عملية تعلمه، وتذكره ونسيانه، وأحلامه، ونموه، والعوامل التي تؤثر في شخصيته، وصحته النفسية، وعلاجه النفسي، وقد حاول الباحث، على قدر الإمكان، المقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف متصلاً بهذه الموضوعات، وما يذهب إليه علم النفس (ابو حطب، 1984).

رابعاً: معرفة الدراسات النفسية للعلماء المسلمين:

قام كثير من المفكرين المسلمين من علماء الكلام، والمتصوفين، والفلاسفة بأبحاث ودراسات عن النفس، وخلفوا لنا مجموعة من الآراء والدراسات الهامة، ومع أن هؤلاء المفكرين قد تأثروا بكثير من ثقافات الأمم السابقة، وبخاصة الفكر اليوناني إلا أنهم قد أضافوا في دراساتهم النفسية آراءهم الخاصة في بعض الموضوعات، كما حاولوا التوفيق بين الفكر الفلسفي اليوناني، وبين التصور الإسلامي للإنسان، وبهنا في هذه المرحلة على وجه خاص: معرفة إسهام المفكرين المسلمين في إثراء الدراسات النفسية، ودورهم في التطور التاريخي لعلم النفس، والمصطلحات والمفاهيم التي استخدموها، وطريقتهم في التوفيق بين موضوعات علم النفس اليوناني ومبادئ الدين الإسلامي، وكيف تناولوا بعض الأفكار اليونانية بطريقة تتفق مع التصور الإسلامي للإنسان (نجاتي، 1981)..

خامساً: نقد علم النفس:

بعد إتمام الخطوات السابقة، يصبح الطريق الآن ممهداً لقيام علماء النفس بالتحليل النقدي لموضوعات علم النفس على ضوء مبادئ الإسلام، إننا في حاجة ماسة في هذه المرحلة إلى مراجعة كثير من المفاهيم السائدة في علم النفس، ولنذكر فيما يلي بعض الأمثلة لهذه المفاهيم التي تحتاج إلى إعادة النظر فيها. لقد ساد في علم النفس الاتجاه المادي في تفسير الظواهر النفسية وسيطر على كثير من بحوثه الفكر الدارويني الذي يعتبر الإنسان سلالة متطورة عن الحيوان، وأغفل في بحوثه الجانب الروحي من الطبيعة الإنسانية، واستبعد الدين عند دراسة الدافعية لدى الإنسان، إننا لا نجد في كتب المداخل إلى علم النفس ذكراً لدافع التدين كأحد دوافع الإنسان الفطرية.

وحيثما يتعرض بعض علماء النفس الغربيين للدين، فإنهم ينظرون إليه باعتباره دافعاً اجتماعياً مكتسباً، نشأ تحت تأثير بعض الظروف الاجتماعية

والنفسية التي مر بها الإنسان عبر عصور تاريخه القديم، وقد سبق للباحث أن بين من قبل أثناء الكلام عن مسلمة الإيمان بالله تعالى الأساس الفطري لدافع التدين.

وتمشياً مع الاتجاه المادي الذي يغلب على دراسات علم النفس الحديث أيضاً، فإن علماء النفس الغربيين، حينما تكلموا عن مؤشرات الصحة النفسية فإنهم يذكرون كثيراً من العوامل التي تتعلق بقدرة الفرد وفاعليته في القيام بشؤون حياته الواقعية، والشخصية، والاجتماعية، وإشباع حاجاته المادية الدنيوية، ولكنهم لا يوجهون أي اهتمام إلى تأثير النواحي الروحية في سلوك الإنسان وصحته النفسية، ويغفلون تأثير الإيمان بالله تعالى في التخلص من القلق، وفي بث الشعور بالأمن والطمأنينة في النفس، ولذلك فنحن في حاجة إلى إعادة النظر في مفهوم "الشخصية السوية"، و"الصحة النفسية"، وإعادة تعريفهما تعريفاً إجرائياً يتفق مع تصورنا الإسلامي للإنسان، وقد سبق للباحث أن ناقش موضوع الصحة النفسية ومؤشراتنا من وجهة نظر إسلامية في مواضع أخرى (عز الدين، 1986).

ومن المفاهيم النفسية التي تحتاج أيضاً إلى إعادة النظر فيها: مفهوم "الأحلام" فعلماء النفس الغربيون ينظرون إلى الأحلام على اعتبار أنها نشاط ذهني يحدث أثناء النوم نتيجة لتأثير كثير من العوامل، فقد تحدث الأحلام نتيجة إحساسات يحس بها النائم تحت تأثير مؤثرات حسية صادرة من البيئة الخارجية أو من داخل جسمه نفسه، وقد تحدث الأحلام نتيجة استمرار التفكير في المشكلات التي تشغل بال الإنسان أثناء اليقظة، وقد تكون عبارة عن استرجاع بعض الذكريات من أحداث حياته في الماضي، وقد تكون عبارة عن إشباع بعض رغباته ودوافعه السابقة، وخاصة رغباته ودوافعه اللاشعورية، وهو الرأي الذي ذهب إليه فرويد، وهو الرأي الأكثر شيوعاً الآن بين علماء النفس والمحللين النفسيين في تفسير الأحلام، ولا يقول علماء النفس الغربيون المحدثون بالأحلام

التنبؤية، أو الرؤى التي تبشر بخير مقبل، أو تنذر بشر سيئ في المستقبل، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لقد ذكر القرآن رؤيا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه والمؤمنين يدخلون مكة محلقيين رؤوسهم ومقصرين (الفتح آية: 27). ورؤيا الفتية اللذين كانا مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّجْنِ (يوسف: آية 35). ورؤيا ملك مصر عن البقرات السبع السمان التي يأكلهن سبع عجاف، والسنايل السبع الخضر والسنايل السبع اليابسات يوسف: آية 43-44). وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا التي تبشر بخير سيئ في المستقبل، فعن أنس أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالثُّبُوءَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيٍّ، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: " لَكِنَّ الْمُبَشِّرَاتُ " ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قَالَ: " رُؤْيَا الْمُسْلِمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الثُّبُوءِ "

يتضح مما تقدم أنه من الضروري إعادة النظر في مفهوم الأحلام، بحيث يضاف إليه المعنى الخاص بالرؤيا أو بالحلم التنبئي، فالحلم لا ينشأ فقط، كما يقول علماء النفس المحدثون، نتيجة للمؤثرات الخارجية أو الداخلية، والأسباب الأخرى التي ذكرناها سابقاً، وإنما ينشأ كذلك نتيجة الإيحاءات أو إلهامات إلهية تحمل للإنسان نوعاً من البشر بأحداث ستحدث له، أو الإنذار بشر سيئ له، وقد سبق أن تناول الباحث في بحوث أخرى موضوع الأحلام والرؤى من وجهة نظر إسلامية في شيء من التفصيل (السيد، 1995).

سادساً: إجراء البحوث في علم النفس من وجهة نظر إسلامية:

لا تقتصر عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس على نقد موضوعاته ومفاهيمه بل يجب كذلك إثراء معرفتنا العلمية بإجراء بحوث جديدة في كثير من المجتمعات الإسلامية من وجهة نظر إسلامية، تهدف إلى حل مشكلات الناس الهامة من أجل تحقيق حياة أفضل لهم، ومن الضروري أن يحدث نوع من التنسيق

بين الباحثين في الجامعات الإسلامية المختلفة لتبادل المعلومات، ولتفادي التكرار، وللتعاون معاً في إجراء بحوث مشتركة.

ويمكن أن تجرى هذه البحوث في مسارين: أحدهما نظري، يتجه إلى القيام بنوعين من الدراسات النظرية، النوع الأول هو عبارة عن دراسات تعنى بتوضيح وجهة نظر الإسلام في بعض الموضوعات والمفاهيم النفسية، والنوع الثاني من الدراسات النظرية يعنى ببحث الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين السابقين لمعرفة آرائهم وإسهاماتهم في كثير من موضوعات علم النفس، والمفاهيم التي استخدموها، ومحاولاتهم المختلفة للتوفيق بين آراء الفلاسفة اليونانيين في بعض موضوعات علم النفس ومبادئ الإسلام، أما المسار الثاني فهو ميداني وتجريبي، يعنى بإجراء بحوث ميدانية وتجريبية تهدف إلى إيجاد حلول للمشكلات التي يعاني منها المسلمون في الوقت الحاضر، ويمكن أن نذكر هنا بعض الأمثلة كنماذج لهذه البحوث في كل من هذين المسارين. (العيساوي، 1991).

أولاً: الدراسات النظرية:

أ- الدراسة النظرية لبعض المفاهيم والموضوعات من وجهة نظر إسلامية:

ويمكن أن أذكر بعض الأمثلة لهذه الدراسة فيما يلي:

1 - التعريف الإجرائي لبعض المفاهيم النفسية من وجهة نظر إسلامية، مثل: الشخصية السوية، والصحة النفسية، والأحلام، ويجب أن نستعين في ذلك بما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف متعلقاً بهذه المفاهيم، وهناك عدد من الدراسات التي تناولت المفاهيم النفسية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتي ستكون مفيدة لنا في هذا الصدد..

2 - وضع نموذج إسلامي للإرشاد النفسي والعلاج النفسي، يستعين بالتوجيه الديني، إلى جانب الأساليب التقليدية التي يتبعها المعالجون

النفسيون، ومن الممكن أن يخضع هذا النموذج الإسلامي فيما بعد للدراسة التجريبية للتحقق من أفضليته على النموذج التقليدي للعلاج النفسي.

3. القيم الإنسانية الإسلامية.

4. دراسة الشخصية من وجهة نظر إسلامية، ومراحل نموها، والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها، وأسباب انحرافها ومرضها.

5. تربية الأولاد في الإسلام.

ب. الدراسات النفسية للعلماء المسلمين السابقين:

بذلت عدة محاولات من قبل لدراسة ما خلفه العلماء المسلمون السابقون من دراسات نفسية، أذكر منها، على سبيل المثال، الكتب التالية: " الإدراك الحسي عند ابن سينا: بحث في علم النفس عند العرب " للباحث. " الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص " لعبد الكريم العثمان " التعليم عند برهان الإسلام الزرنوخي " لسيد أحمد عثمان " النفس البشرية عند ابن سينا " لأبير نصري ناد " ابن سينا ومذهبه في النفس، دراسة في القصيدة العينية " لفتح الله خليف " ابن سينا والنفس الإنسانية " لمحمد خير حسن عرقسوس وحسين ملا عثمانونحن لا زلنا في حاجة إلى مزيد من البحث في هذا المجال لمعرفة الدراسات النفسية لكثير من المفكرين المسلمين السابقين مثل الكندي، والفارابي، وابن رشد، والغزالي، والرازي، وغيرهم. (نجاتي، 1987).

ثانياً: الدراسات الميدانية والتجريبية:

من الضروري أن يعنى علماء النفس في البلاد الإسلامية بإجراء البحوث الميدانية والتجريبية في المجتمعات الإسلامية لحل مشكلات الإنسان المسلم المعاصر من وجهة نظر إسلامية، وفيما يلي اقتراحات لبعض الموضوعات التي يمكن دراستها دراسة ميدانية وتجريبية من وجهة نظر إسلامية.

- 1 - العلاقة بين التدين والصحة النفسية.
- 2 - العلاقة بين التربية الدينية للأبناء في الأسرة المسلمة ، وسمات شخصية الأبناء.
- 3 - العلاقة بين التربية الدينية للأبناء في الأسرة المسلمة ، وصحة الأبناء النفسية.
- 4 - العلاقة بين مستوى التدين والمشكلات النفسية لدى الشباب المسلم.
- 5 - العلاقة بين مستوى التدين والكفاءة المهنية لدى الشباب المسلم.
- 6 - العلاقة بين مستوى التدين ومستوى التوافق في الحياة الزوجية في الأسرة المسلمة.
- 7 - الفرق في التحسين الذي يحدث بين طريقتين في العلاج النفسي ، إحداهما تستخدم أسلوباً تقليدياً في العلاج النفسي ، والأخرى تستخدم نموذجاً إسلامياً في العلاج النفسي.

سابعاً: عقد الندوات والمؤتمرات العلمية :

من الضروري أيضاً الاهتمام بعقد الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية التي يدعى إليها علماء النفس ، وعلماء الشريعة وأصول الفقه ، من الجامعات الإسلامية المختلفة لمناقشة نتائج البحوث التي تمت في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، ولتبادل الآراء حول المنهج العام المتبع في عملية التأصيل الإسلامي ، وما يعترض هذا العمل من صعوبات ومشكلات ، والوسائل الممكنة للتغلب عليها ، إن هذه الخطوة هامة جداً لتحقيق التنسيق بين الباحثين في البيئات العلمية المختلفة ، ولتحقيق قدر ضروري من المعرفة المشتركة التي ينطلق منها البحث العلمي المستقبلي في هذا المجال.

ثامناً: إعادة كتابة علم النفس في إطار إسلامي:

بتقدم البحوث في علم النفس من وجهة نظر إسلامية، وبتراكم المعلومات الجديدة في هذا المجال، سوف يصبح من الممكن لعلماء النفس بالتدرج إعادة كتابة كثير من موضوعات علم النفس في إطار إسلامي، وسوف يتمكنون في النهاية من تأليف كتب دراسية جديدة في علم النفس تتفق مع المبادئ الإسلامية، وهو الهدف الذي نرجو أن نصل إليه بمواصلة الجهد في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس

نظرية التعليم في القرآن

وتتلخص هذه النظرية بفكرتين؛ وهما: (القراءة)، و(التسخير). فقد اختصر الاسلام نظريته في التعليم بأول كلمة وحي من الباري عز وجل نزلت على قلب الرسول العظيم محمد (ص)، وهي كلمة: (اقرأ...). ومع ان هذه الجملة في الآية الكريمة تفيد خصوص القراءة للرسول (ص) إلا ان مقتضاها أوسع من ذلك. فتوجيه صيغة الامر بالقراءة سيساعد المكلفين حتماً على فهم الأحكام الشرعية وتطبيقها، ويساعدهم أيضاً على قراءة القرآن والتفكير في آياتها العظيمة، وعلى تنشيط عقولهم لتطوير الحياة الانسانية في مختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية. وفي قوله المشهور: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد)، وقوله (ص): (ايها الناس اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به، وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال) دلالة على ان طلب العلم والتفقه يشمل المسلمين عموماً ولا يختص بفئة دون اخرى. فكما لا دين اذن - حسب الرواية - والسمو في فهم الأحكام الشرعية وعللها، لا يتم الا عن طريق طلب العلم والاجتهاد في تحصيله. وبذلك، فان الإسلام وضع العلم على سلم الحاجات البشرية التي ينبغي اشباعها هناك أدنى شك من ان الاعمال التي يقوم بها الفرد في حياته العملية تحتاج الى كمية من العلوم، تقدرها المصلحة الاجتماعية. فالطب وتخطيط المدن وجمع الحطب مثلاً تحتاج الى علوم تتناول تلك الاختصاصات. فعلم التشريح

والعقاقير والكيمياء يطور علم الطب، ودراسة القياسات ومعرفة علم المساحة وتربية الأرض ومواد البناء تساعد في علم تخطيط المدن، ودراسة الأشجار و أخشابها وطريقة قطعها واسلوب نقلها يساعد الأفراد المهتمين بعملية جمع الحطب واستخدامه في عملية توليد الطاقة. وفي كل تلك الأمثلة يكون العلماء الاختصاصي هو المحور والمدار في تطوير المهنة التي يقوم بها العامل المختص. وبطبيعة الحال، فإن الاختصاص ليس القطب الوحيد الذي عرضه الاسلام ضمن اهتمامه بالعلوم التطبيقية، بل طرح فكرة التسخير أيضاً، باعتبارها منهجاً عملياً للتفاعل الاجتماعي (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) ان النظام الاجتماعي لا يحيا الا عن طريق تسخير جهود الافراد الشخصية لخدمة بعضهم البعض في شتى المجالات الحياتية الضرورية للبقاء البشري على الأرض، حيث تقوم العلوم التخصصية فيعملية التسخير بدور العامل المساعد في تطوير تلك العملية وتسهيلها خدمة للنظام الاجتماعي العام وافراده. ولم تتوقف فكرة التسخير على الاعمال اليدوية والاعمال القائمة على الجهد الانساني العضلي، بل تعدت الى الجهد العلمي والفكري الذي يقوم به الانسان. ومنلك، الجهد العلمي الذي يؤدي الى الاجتهاد في علوم الدين، وبالأخص الفقه والاصول. وعملية الاجتهاد هذه، تعتبر جزءاً من نظرية التسخير، فاجتهاد المجتهد وعلمه ينبغي ان يسخر كلياً لخدمة الامة، بالتوافق مع حاجتها، وبالتناسب مع طموحاتها في انشاء نظام اجتماعي سياسي ديني متكامل (رزيق، 1989).

ولكن الحركة الاجتهادية في الفقه والاصول قاست في العصور الاسلامية الاولى انعزلاً سياسياً أدى الى تحديد الهدف الاجتماعي من التعليم. فبدلاً من تعميم مفهوم التعليم وجعله حقاً لكل فرد، سعت السلطات السياسية الحاكمة الى الحفاظ على مستوى من الجهل والتخلف الفكري السائد بين الافراد آنذاك، لأن السلطات كانت تشعر ان نشر العلم بين افراد الامة سيؤدي الى هز

الكيان السياسي الظالم وتقويض أركانه. وكان من نتائج هذا الانعزال تقلص النظرة الاجتماعية للفقهاء الاسلامي، وظهور الاتجاه الفقهي الذي يهتم بشؤون الفرد أكثر من اهتمامه بشؤون الأمة. وانصب اهتمام الفقهاء بالحث على تحصيل العلوم الدينية المتمثلة بالفقه والاصول وعلوم الحديث واللغة والمنطق بالقلة المختارة من الافراد، بينما أهمل تعليم الافراد عموماً؛ بل ان الامة الاسلامية باتت على قسمين، القسم الاول والأكبر سماهم الفقهاء ب (العوام من الناس) وهم الذين لا يجيدون القراءة، والثاني: وهم الطلبة والعلماء. وهذه التسمية في حد ذاتها تعطي انطباعاً ظاهرياً بان العلم في الاسلام انما وجد للخاصة فحسب، وبقية الناس ينطبق عليهم اصطلاح العوام. وكان التكليف الشرعي لا يحث المكلف على طلب العلم والتحصيل ولانشك ان اللوم في هذا الفكر المتخلف يقع كلياً على السلطات السياسية المنحرفة التي حكمت الامة الاسلامية قروناً عديدة، فسلبت من أيدي الفقهاء العدول كل أدوات السلطة التنفيذية، وأرادت للامة الاسلامية - بجميع أفرادها - التخلف عن ركب العلم والحضارة، حتى يتم لتلك الفئة المنحرفة السيطرة على مقدرات النظام الاجتماعي بشكل تام. ولا يحمل اصطلاح الفقهاء هذا غير معنى الاختصاص، فسمي الفقهاء (علماء) اختصاصهم بعلمي الفقه والاصول، وسمي غيرهم (عواماً) لجهلهم بعلمي الفقه والاصول. ويكفينا، لفهم موقف الاسلام من العلم وضرورة التعليم الجماعي للمسلمين، ان نتذكر ما حصل في معركة بدر المظفرة من أمر الرسول (ص) باطلاق سراح أسرى المشركين، شرط ان يعلم الاسير الواحد منهم عشرة مسلمين القراءة والكتابة

مفهوم نظرية المعرفة:

درج المشتغلون بالبحث الفلسفي للإشارة إلى البحث الفلسفي الذي يعنى بدراسة قضايا المعرفة الإنسانية وإشكالياتها بنظرية المعرفة، وهو بذلك يتركب من مفردتين: نظرية المعرفة.

تجيء لفظ نظرية مشتقة في اللغة العربية النَّظَر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه^أ فهي ترد بانصراف الدلالة إلى معنى التفكير، ومثيل لتك الدلالة ما نجده في اللفظ المقابل لها في معظم اللغات الغربية مشتق من اليونانية وتعني التأمل، وفق ذلك فإن مفهوم النظرية يتلخص في عملية الفكر الذي تطلب بواسطته المعرفة أي أنه فعل صادر عن النفس لإستحصال المعلومات من المجهولات (ابن منظور. ب.ت).

النظرية كما يتم الإشارة إليها في بعض المعاجم الأوربية تجيء بمثابة بناء معرفي للفكر الرابط بين الجزئيات، أورد أصحاب المعجم الفلسفي في سياق دلالة مفردة

(نظرية): تعني جملة تصورات مؤلفة تأليفاً عقلياً تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات وفق هذا المعنى فإن كلمة نظرية تقارب إن لم تكن مرادفة لاستخدام مفردتي "نسق ومذهب". فالنسق يدل على مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين، بعضها مقدمات لا يبرهن عليها في النسق ذاته والبعض الآخر يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات كما أن المذهب يعني تجميع المعرفة في كلٍ موحد أورد صاحب اللسان في دلالة كلمة (معرفة): العرفان العلم، والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم، وعرفه: علمه وأدركه بتفكير وتدبرٍ لأمره (عطوي 1986).

أن المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقه بنسيان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاد الإنكار، ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله، لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا؛ فالمعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكير، ويذكر الأصفهاني في دلالة كلمة علم قائلاً: العلم إدراك الشيء بحقيقته (الكيلاي، 1983).

إذن فالمعرفة تقال فيما تدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته والعلم يندر أن يقال إلا فيما يدرك ذاته وحقيقته، فالعلم يتطلب الإحاطة بأحوال المعلوم على وجه التمام لذا تتصل المعرفة في التصورات بينما يستعمل العلم في التصديقات، وفق هذا السياق فإن مفهوم نظرية المعرفة في إطار الدراسات الفلسفية يراد به بصورة أساسية البحث المنظم في الوجود الذهني للمدركات والقوالب الذهنية وفق هذا السياق شهد الفكر الإسلامي تواتر كتابات مبكرة حول نظرية المعرفة، فتناولها طائفة من الفلاسفة والمتكلمة المسلمين. (عبد الجبار، 1989).

أخذ استخدام مصطلح نظرية المعرفة فلسفياً يتمدد على مستوى المؤلفات الغربية منذ منتصف القرن التاسع عشر، وفيما مضى ظل يتم تناول قضايا المعرفة موصولة بمباحث فلسفية متعددة كمبحث الوجود، وعادة ما يشار للفيلسوف جون لوك 1632م - 1704م بحسابه رائداً لأول محاولة منظمة لفهم المعرفة البشرية وتحليلها للفكر الإنساني وعملياته وطبيعته، وسبق غيره في هذا المضمار عندما أفرد كتابه مقال في الفهم الإنساني لتناول قضايا نظرية المعرفة وجاء نشره في العام 1690م

أن نظرية المعرفة يراد بها ذلك البحث المنظم في المعرفة الإنسانية بحسابها بحثاً في الوجود الذهني للمدركات والقوالب الذهنية؛ متناولاً أبعادها المختلفة (ماهيتها، طبيعتها، أصلها، مصادرها) إلى غير ذلك من القضايا والمشكلات التي عادة ما تدرج في إطار نظرية المعرفة (عبد الرحمن، 1970).

1. قضية البحث في إمكان المعرفة؛

يقتضي البحث في قضية المعرفة على الصعيد الفلسفي التعرض ابتداءً لقضية إمكان المعرفة، وهي تعد من أقدم وأعتق المسائل التي تم إثارتها في الفلسفة من فترة باكرة من تاريخ التفلسف الإنساني، ومن ثم فإن أولى القضايا التي درج الفلاسفة مناقشتها فيما يلي مبحث المعرفة محاولة الإجابة عن السؤال التالي: هل في وسع الإنسان أن يعرف شيئاً؟ ونلاحظ أن الإجابة التي قدمت في إطار الفلسفة الغربية عن هذا السؤال تنبئنا عن فريقين رئيسيين:

فريق أول ذهب إلي مصادرة قدرة الإنسان على أن يعرف شيئاً، منكرًا قيام المعرفة، وهؤلاء هم الشكاك أو أصحاب الشك المطلق أو مبطلو الحقائق كما سماهم المسلمون، فمنذ عصر باكر للفلسفة الغربية سادت موجة من الشك المطلق تجسدت في مقولات السفسطائيين الذين برزوا في اليونان إبان القرن الخامس قبل الميلاد.

لقد كانت نقطة البداية في تصور هذا الفريق هي إنكارهم التفرقة بين نوعي المعرفة العقلية والحسية فقالوا: إن المعرفة طريقها الحواس فقط؛ ولما كانت الحواس تختلف باختلاف الأشخاص، بل إن الحس والإحساس ربما تجلي مختلفاً لدي الفرد الواحد باختلاف الظروف والملابسات المحيطة به، فالنتيجة تبعاً لذلك هي أن المعلومات والمعارف تختلف من شخص لآخر ومن ظرف لآخر بالنسبة للشخص الواحد، وخلصوا إلي أنه لا توجد حقيقة واحدة مطلقة بل هناك حقائق كثيرة نسبية، وهو ما عبر بروتوجوراس في مقالته: "إن الإنسان مقياس الأشياء جميعها". ولقد كانت نتيجة تلك الآراء الإنكار التام لقيام المعرفة الإنسانية والشك المطلق (عطوي، 1986).

أما الفريق الثاني فيمثله القائلون بالوجود الحقيقي للأشياء وبقدرة الإنسان على المعرفة. ولئن كان مذهب الشكاك مستنداً إلى افتقار الإنسان للقدرة على سد الفجوة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة؛ فإن أصحاب التيار اليقيني يرون عكس ذلك، فلا يرون حائلاً دون قيام معرفة إنسانية ولقد تبدى هذا التيار في مسارين رئيسيين رافقا الفلسفة عبر أزمانها المختلفة، وبرزوا بصورة أكثر وضوحاً في عصرها الحديث؛ أعني التيار العقلاني والتيار التجريبي (نجاتي، 1978).

على صعيد العقل المسلم فالعله مما يحسب للفلسفة الإسلامية أنها كانت ثمرة بيئة استقتت من منهل الوحي القرآني، فقدر لها أن تجيء مبرأة من كثير من التيارات والنزعات الارتيازية والشككية التي غشيت الفلسفة الغربية في أصولها الإغريقية الوثنية، وهكذا مضت السنة لدي سائر الأصوليين والمتكلمة على

السواء في مؤلفاتهم الاستهلال ببيان بطلان دعاوى منكرين الحقائق ودحض موقفهم، وإثبات العلوم الضرورية، وهذا منحى عام نجده في سائر مؤلفات متكلمة المسلمين أو فلاسفتهم.

فلا غرو أن المتأمل في المنتوج الفكري لدي المسلمين عامة سواء عند المتكلمة أو الفلاسفة أو الأصوليين؛ يجده خالياً من أي تصور ينكر إمكان قيام المعرفة الإنسانية فذلك مما يتنافى وأصول الدين وأسسها، لذلك كان إجماع فلاسفة الإسلام ومتكلميه على السواء حول القول بإمكانية المعرفة الإنسانية واليقين بقيامها.

إن ما تميز الفكر الإسلامي على كل من صعيديّ نظرية المعرفة والقيم يقف دالاً على نقاء التصور القرآني، إذ جاءت الرؤية المعرفية القرآنية محجوبة عن مثل تلك التصورات الارتيازية والشككية، لتعصم منظومة البناء القيمي في الإسلام من الإسلامي من كافة النزعات العدمية والتشاؤمية؛ بينما النقيض من ذلك هو الأثر الذي تركته الوثنية الإغريقية في كل أدوار ومراحل الفكر الغربي، فشهدنا تكاثر التيارات الشككية العدمية والفوضوية.

البحث في مصادر المعرفة

جرت العادة لدي المشتغلين بالفكر الفلسفي أن يتم بحث قضية المعرفة في سياق تناول طائفة من المشكلات والمسائل التي تطرحها مسألة المعرفة الإنسانية؛ وذلك وفق مناهج وخلفيات ومسلمات متباينة، ويتجه الباحث في هذا المبحث لتناول مسألة مصادر المعرفة بحسبانها واحدة من أمهات المشاكل المعرفية الكبرى، إذ أن تصبف المدارس المختلفة في نظرية المعرفة يقوم على أساس مدى تأكيد كل منها لكل واحد من هذه الطرق؛ بالإضافة إلى أن الإمام بها يهيئ أمام الدارس مساحة واسعة للوقوف على الجوانب المختلفة لقضية المعرفة الإنسانية.

يُراد بمصدر المعرفة هو ما تتولد وتستمد منه المعرفة معطياتها، ونلاحظ أن المشتغلين بالفلسفة درجوا على ذكر ثلاث مدارس أو اتجاهات رئيسة ينتهون إليها عند الحديث حول مصادر المعرفة، تتضمن تلك المدارس أهم ثلاثة مواقف تدور حولها أطروحات المفكرين والفلاسفة، وهي تيارات يمكننا الإشارة ابتداءً إلى أن القبول بها يتسم بالتباين بدرجات مختلفة بين سائر اتجاهات وتيارات الفلسفة؛ هذا إلى جانب أن التيار الواحد ربما تبدى في أكثر من طرح ونسق بحيث تختلف السمات التي يبدو بها التيار الواحد من فيلسوف لآخر؛ هذه التيارات الثلاثة هي:

التيار العقلاني، والتيار التجريبي، والتيار الحدسي.

يكتفي المؤلفان في تناوله لكل واحد من هذه التيارات المعرفية بتقديم عرض موجز لكل منها؛ مع ضرورة الإشارة إلى أن الرؤية الإسلامية لا تلغي أياً من هذه المصادر المعبر عنها بواسطة تلك التيارات، بيد أنها تتضمن من جهة الإشارة الجوهرية إلى مصدر يجيء متعالياً على تلك المصادر المعرفية، ومقديماً وحاكماً وضابطاً وهادياً لها؛ ذلك هو الوحي الإلهي، لإلي جانب تتضمن تلك الرؤية من الجهة الأخرى المباشرة والفصل الجلي بين عالمي الشهادة والغيب.

التيار العقلاني... العقل مصدراً للمعرفة:

الفلاسفة الذين يعتمدون العقل مصدراً للمعرفة يسمون بالفلاسفة العقلانيين، كما تسمى طريقتهم في التماس المعرفة العقلية بالمشهد العقلي، وعماد تصورهم أن العقل قوة فطرية، ومن خلال تلك القوة الفطرية فإن الإنسان يتلقى المعرفة، ويذهبون للقول بأن لدي العقل ثمة مبادئ أولية تجيء سابقة على كل تجربة وعن طريقها هيأ الإنسان لمعرفة العالم الخارجي من حوله، وعن طريقها أيضاً يفرض العقل قوانينه ومبادئه على ذلك العالم.

والمعرفة العقلية لديهم هي وحدها المعرفة الحق لاتصافها بكونها مطلقة أي ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهي ضرورة فهي واضحة بذاتها وتفرض

نفسها بشكل حتمي، كما أنها كلية فهي عامة مشتركة بين كل الناس جميعاً.

يقرر العقلانيون أن المعرفة لا توجد إلا في المفاهيم والمبادئ والقوانين التي يصوغها العقل وليس في خامة المحسوسات الإنسانية، ومن ثم ينتهون للقول بأن العقل إنما يدل على ملكة فطرية مشتركة بين جميع الناس ومن ثم فإنهم تصوروا العقل قادر على الوصول إلى تلك الأحكام المطلقة، الضرورية والكلية.

ينطلق العقلانيين في تصورهم المعرفي من الإشارة إلي أننا لا نعرف إلا تلك الأشياء التي نفكر فيها، وأن العقل يملك القدرة على اكتشاف الحقيقة بنفسه كما يمكن إدراكها بمقارنة أفكاره بأفكار أخرى، ويرون الحواس رغم أهميتها تبدو أعجز من أن تعطينا أحكاماً صحيحة وثابتة كونياً، لذا فقد ذهبوا إلي أن أعلى صور المعرفة هي تلك الأحكام الصائبة بصورة مطلقة كحقائق المنطق والرياضيات، قائلين بأن ما تضعه الحواس بين أيدينا من التجارب والأحاسيس ما هو إلا مادة المعرفة فقط وهذه المادة يجب أن تنظم من قبل العقل في نظام ذي معنى قبل أن تصبح معرفة (الصنيع، 1995).

التيار التجريبي... الحس مصدراً للمعرفة:

يرى الفلاسفة التجريبيون أن جميع أنواع المعارف التي لدينا مستقاة من الحس والتجربة، وأنه ليس ثمة في العقل إلا ما تمده به المعطيات الحسية، ومن ثم فإن تجربتنا الحسية المؤكدة تمثل المصدر الوحيد للمعرفة، من سمي مذهبهم في المعرفة بالحسية أو التجريبية.

فالحسيون نقيض العقلانيين يضعون تأكيدهم على قوة الحواس وقوة ملاحظة الإنسان؛ فجميع ما يتسلمه العقل من بيئته من خلال الحواس يغدو السبيل المضمون إلى المعرفة، ويرون أن المعرفة تتكون بتكون الأفكار وفقاً للحقائق المشهودة؛ أو بعبارة أخرى: إننا نعرف تلك الأشياء التي نتوصل إليها من خلال حواسنا ليس إلا.

نشير هنا إلى أن الفلاسفة الحسيين يقرون بالمعرفة العقلية، إذ لا يتصور وجود اتجاه فلسفي ينكر تلك المعرفة لأن الفلسفة برمتها إنما تقوم على التأمل العقلي؛ بيد أنهم على الرغم من إقرارهم بوجود المعرفة العقلية؛ لكنهم يؤولونها باعتبارها مدركات بسيطة مستمدة من التجربة وصدى لتعميمات تجريبية، وهذا هو عين الموقف الذي يقفه على الطرف المقابل الفلاسفة العقلليون عندما يقرون بالمعرفة الحسية مع تأويلها تأويلاً خاصاً باعتبارها معارف جزئية غير يقينية تظل خاضعة للعقل وفي حاجة إليه.

الحس مصدراً للمعرفة:

يورد البعض مسلكاً ثالثاً للمعرفة يتقدم العقل والحس ويفضلهما، يتمثل ذلك في أطروحة الكثيرين حول الحس، والقول بالتجربة الحسية كمصدر للمعرفة الإنسانية. نستطيع أن نقول أنه لم يخل عصر من عصور الفلسفة المتعاقبة من اتجاه فلسفي لم يعمد إلي جعل الحس عماد تصوره الفلسفي، لذا ينظر إلي الحس باعتباره من أقدم منابع المعرفة الإنسانية إن لم يكن أقدمها على الإطلاق.

لعل أقدم نموذج يجيء ذكره هنا لفلسفة يحتل الحس فيها موقعاً صميمياً هو فلسفة أفلاطون والأفلاطونية المحدثة؛ ومما هو بين وجلي أن كل الاتجاهات الصوفية المنبثقة من مختلف الأديان والمشارب قد أولت الحس أهمية فائقة وأعطته قيمة معرفية تفوق كل ما يمكن التوصل إليه عبر شتى الوسائل الأخرى.

خير معبر عن ذلك الاتجاه الحسني ما نجده عند الإمام أبي حامد الغزالي 1048م - 1111م الذي جعل من المعرفة اليقينية ضرباً من النور الإلهي الذي يُقذف في قلب العبد قذفاً، من هنا فلا غرابة حينما نجد الغزالي ينتظم ضمن سلسلة ممتدة من المفكرين الإسلاميين الذين يصفون بعداً صوفياً على المعرفة الحسية حينما يجعلون تلك المعرفة ضرباً من الإلهام والعلم اللدني الذي يمن به الله تعالى على الإنسان بعد ترقيته في معارج التصوف، فالمعرفة الأتم كما يراها الغزالي هي

المتحصلة عن طريق القلب وسبيل الهداية الإلهية، لأن للبصيرة القلبية اتصالاً مباشرة بالحقائق الإلهية الخالدة، وهو ما يجعل لتلك الصلة حسب الرؤية الحدسية صفة الديمومة بين الخالق والمخلوق

أما الحدس من حيث تعريفه عند أهل اللغة العربية فنلاحظ أن معاجم اللغة العربية لا تعطى للحدس ذات المعنى الذي تتناوله الفلسفة؛ ففضاء الحدس عند أهل العربية يدور حول معاني: التوهم والتخمين والظن والرجم بالغيب والتوجس، فيذكر الحدس: التوهم في معاني الكلام والأمور، والظن والتخمين ويماثل ما ذكره ابن منظور ما أورده الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ابن منظور، ب.ت).
بيد أن الحدس لدى الفلاسفة يعني ذلك الضرب من المعرفة المباشرة التي لا تحتاج إلى برهان أو دليل في نهاياتها القصوى، فهو إذن استنتاج مباشر ومعرفة تضع العارِف (الإنسان) إزاء موضوعه (موضوع المعرفة) والحدس يعني قدرة الذات على المعرفة والإدراك المباشر، ولا يمكن أن يتم ذلك النشاط الحدسي بمعزل عن الحواس والعقل، ففي الحدس غالباً ما يكون للعقل دور كبير، بمعنى أن الحدس يملك الوظيفة المعرفية التي تقوم بها الذات مباشرة في سياق استفادتها من الأدوات المعرفية الأخرى، ولكنه في ذات الوقت فإنه ليس من اللازم أن يكون الحدس مسنوداً بشهادة الحس أو مقيداً بمنطق العقل.

الوحي الإلهي مصدر المعرفة:

تقدم الرؤية الإسلامية مصدراً لا تدرجه الأطروحات الغربية في إطار مصادر المعرفة، حتى وإن فعلت في بعض تخومها فإنها لا تعول عليه كثيراً، فالوحي الإلهي في الرؤية الإسلامية يمثل حسب تلك الرؤية مصدر هداية ومنبعاً للحقيقة المطلقة التي مصدرها الحق المطلق، وذلك في مقابل المعرفة الإنسانية المستولدة والمستمدة عقلاً أو حساً أو حدساً؛ فالمعرفة التي مصدرها الوحي معرفة مطلقة، تتضمن إشارات عدة تشير إلى تفرد المعرفة التي مصدرها الوحي من حيث اتصافها بالاتساق وعدم التعاند والاستقامة ونفي العوج عنها.

طرائق المعرفة : تفاضل أم تكامل

بدايةً أشير هنا إلى أن استخدام لفظ أفضلية في السياق الفلسفي يتجه بصفة أساسية نحو تأكيد معايير الدقة والفاعلية، إذ أن ما يريد المؤلفان تناوله موصول بطرائق المعرفة ومصادرها التي سبق الحديث عنها؛ هل ثمة تفاضل فيما بينها بحيث تمنح الأفضلية لهذا المنحى ووصفه بأنه يحوز مرتبة السبق عليهما، فيكون هو المقدم بينها، إذ لا شك في أن كل باحث عن المعرفة ينشد ما يقربه من الحقيقة بصورة أكثر فاعلية.

بيد أن ما تروم هذه الورقة الخلوص إليه؛ هو القول بأهمية تصويب النظر إلى قضية التفاضل بين مصادر المعرفة على مستويات ثلاثة:

- يتضمن المستوى الأول الوحي الإلهي في مقابل المصادر ذات المعطيات الإنسانية من حدس وحس وعقل إنساني.
- بينما يتجه المستوى الثاني للنظر في سائر طرائق المعرفة الإنسانية فيما بينها.
- لينتهي بنا هذين المستويين للتأمل في منتج تلك المعرفة إلى مفهوم الرشد القرآني الذي يصل ما بين المعرفة والعمل الصالح (منظومة القيم).

على صعيد المقابلة بين الوحي الإلهي من جهة ومصادر المعرفة الإنسانية من الجهة الأخرى؛ فإن الوحي الإلهي يجيء معبراً عن الحقيقة بإطلاقها، فهو بذلك يقوم مقام المهيمن تصديقاً والضابط تحكيمياً لما عداه من مصادر للمعرفة، فالعلم البشري مهما بلغ في استمداد معارفه بشتى طرائقه؛ فإنه مقيد بأدواته ومحدود في نهاياته بالقياس إلى العلم الإلهي المطلق الذي يتسامى عن كل حد ويتعالى عن كل قيد.:

وعلى المستوى الثاني فإن مصادر الحس والعقل والحدس تقوم فيما بينها علاقة تكامل وتداعم، فينظر إلي طرائق المعرفة الإنسانية في سياق تكاملي

هذا الميدان أكثر مباشرة وأكثر تحليلية، كما أنها بالاستقراء تستطيع اكتشاف الفرضيات العامة المتضمنة في أي مجموعة من مجاميع الحقائق الصلدة، غير أن الحواس من دون مساعدة العقل أو الحدس أو من غير تقييد بهما؛ لا يمكن أن تعطينا أكثر من مجموعة إحساسات وانطباعات مضطربة، وعليه فإن المعرفة الحاصلة عن منطق الحس لا تؤدي إلا إلى مجرد الخبرة بالظواهر الكونية المحسة فحسب، ولذلك يظل المطلوب بإلحاح على الدوام هو تطوير هذه المعرفة الحسية الظاهرية نحو آفاق التجربة الحدسية الإيمانية؛ وإلا أصبحت تجربة حسية صماء بكماء واستحقت التقرير القرآني.

ينظر للعقل أو التفكير الناقد مصدراً أساسياً من مصادر المعرفة، ولقد أعلى الخطاب القرآني من شأن العقل وتعزيز فعاليته.

حرص الإسلام على جعل التعقل والتفكير من أبلغ السبل لبلوغ الإيمان، فإذا كان الإيمان بالله هو من ما تنهض به الفطرة الربانية؛ إلا أن الإسلام لا يقف بالناس عند هذه الحدود بل يدعو الناس بالإضافة إلى ما تقرره الفطرة الإنسانية السوية من إقرارها بوحداية الله وإلهيته؛ يدعوهم إلى تدعيم بواعث الفطرة الحقة باستعمال العقل الفاحص والناقد.

بيد أنه مثلما كان الحس قاصراً ثماره في تزويد الإنسان بالخبرة بالظواهر الكونية المحسة فحسب، فإن الانكفاء على منطق العقل المحض لا يؤدي إلا إلى نتائج وأحكام نسبية لا يمكن الحديث بإطلاقها، وكثير ما تفضي بالناس إلى الجدل غير المحمود

حفز وعي الإنسان بمحدودية الأفق الذي يمكن للحس والعقل أن يظهرانا عليه؛ حفز الإنسان لأن يكون أكثر ثقة في خوض التجربة الحدسية؛ وهي تجارب لا تلغي دور العقل بحال من الأحوال، ولكن عبرتسامي تلك الخبرات الحدسية وتناميها المستمر يغدو اليقين المباشر المتحصل من الرؤيا الداخلية هو أعظم من البرهان المنطقي الصوري وأرسخ يقيناً.

وبتكاثف رصيد الأفراد من الخبرات الإيمانية والحدسية هذه الخبرة الإيمانية يتم تمثيل الدين وتفهمه ليس على أساس كونه علماً صورياً نسعى للبرهنة على صحته بل يضحى شأناً من شؤون القلب وحياة يحياها الفرد بالكلية، وبذات الوعي الإيماني تغدو الأخلاق في جوهرها الإرادة الطيبة وأداء الإنسان واجباته وانحيازه للمظلومين والضعفاء مثلما هو محور قصة موسى والعبد الصالح.

يتمدد هذا الوعي ليغطي سائر مناحي الحياة الجمالية والعاطفية؛ ليتم النظر إلى الفن في جوهره ليس مجرد مسألة تركيب وتشكيل بل مسألة غنى في العاطفة والشعور، ووفق هذا السياق المنطلق من الحقيقة الإيمانية بوصف الإيمان ضرورة داخلية غير قابلة للتحليل ننتهي إلى أن المجتمع ليس مشروعاً جامداً مؤسساً على المصلحة الذاتية، بل كائناً حياً كبيراً يشد أعضاؤه آزر بعضهم بعضاً (نجاتي، 1987).

يجيء الحدس في حالات بعينها ليكون الطريقة المثلى للمعرفة، الأمر الذي يقود إلى القول بأن هناك عنصر حدسي ماثل في كل تجربة من تجارب الإنسان، إذ أن الحالات الكلية لا يمكن استيعابها إلا حدساً، وهذا بطبيعة الحال أمر لا يمكن التقليل منه أو تجاهله، هنا ربما بدأ للبعض أن الحدس ربما قادنا لأخطاء جسيمة إن لم يكن مقيداً بالعقل والحواس ومقوداً بهما، لكنه وحتى في تلك الحالات فإن دور العقل والحواس يأتي لاحقاً للتحقق في بعض الأحيان لما أوصلنا إليه الحدس من معرفة.

هنا لا بد من ذكر أن غياب المعيار الموضوعي في الحدس يبدو أكثر الاعتراضات التي جوبه بها الحدس من حيث القوة؛ فمناؤوا المعرفة الحدسية يرون أن الحدس بحسبانه إدراكاً مباشراً يختلف من فرد لآخر مما يجعلنا نفتقد المعيار الموضوعي الذي نحتكم إليه للحكم على مختلف الحدوسات.

وفي إطار الرؤية التكاملية لطرائق المعرفة وصلتها بحاكمية الوحي الإلهي لا بد من التمييز بين الدنيوي (عالم الشهادة) الذي هو مناط خلافة الإنسان ومحور تكليفه ومسئوليته، و(عالم الغيب) وما يفتح في آفاقه من قضايا التي لا سبيل للبت في أمرها بواسطة مطية العقل أو أدوات الحس بل ولا حتى محدود التجربة الحدسية من الجهة الأخرى(السيد ، 1995).

بهذا التمييز يمكن إعطاء كل شيء حقه والاهتداء بكل طرائق المعرفة؛ الوحي من جهة ومصادر المعرفة الإنسانية الأخرى من الجهة الثانية، فالكل حدساً وحساً وعقلاً هبات من الله عز شأنه، وجميعها غايتها المثلى هداية الإنسان إلى تحقيق مقصد وجوده، وقيادته للإيمان بالصانع القدير، ولو كان لأي من الحس والعقل والحدس بإفراد كفاية وغناء للإنسان لما كان الوحي.

هكذا نصل إلى النتيجة التي تشير إلى أن الوحي وسائر مصادر المعرفة تتكامل العقل بلا تعارض أو تعاند، ولا غناء لأحدهما عن الآخر، وأن الوحي يضبط الإنسان في مسالك المعرفة وطرائق الهداية.

كما نستطيع أن نخلص أيضاً إلى القول بأن محاولة تغليب أي واحد من هذه المصادر على ما عداه وجعله المصدر الأوحيد للمعرفة تنطوي على جانب كبير من الغلو والإفراط؛ بل الأوفق أن نشير إلى أن لكل مجال وسيلته ومصدره المعرفي الأكثر ملائمة؛ إذ ليس هناك وسيلة واحدة ومصدر بعينه يستطيع أن يحقق للمرء الاستغناء عن ما عداه، ومن ثم فلا يستطيع مصدر من هذه المصادر أن يكون كافياً وشاملاً لكل مجالات المعرفة الإنسانية ما لم يتكامل مع بقية المصادر، فهي متسقة في غايتها وما تنتهي إليه وتمثل في جملتها معايير معتمدة لاكتشاف المعرفة ولا يمكن لأي منها أن يكون بديلاً عن ما سواه، لأبي حامد الغزالي أطروحة ضمنها رسالته الموسومة بـ "جواهر القرآن" سعى فيها لإجمال المحاور والمضامين الأساسية التي تنتهي إليها آيات القراءن الكريم النص المقدس؛ محاولاً

تحليل آيات القرآن الكريم وردّها إلى محاور رئيسة، منتهياً في ذلك إلى أن نصوص الوحي تنتهي عند عنصرين أساسيين، يتصل أحد هذين العنصرين بالمعرفة والثاني بالقيم (السماطي، 1984).



علم

النفس الإسلامي

الفصل الثاني

2





الفصل الثاني

أولاً: المفهوم اللغوي:

(أ) الغرائز:

قال ابن منظور: والغريزة: الطبيعة، والقريحة، والسجية من خير أو شر. وقال الحياني: هي الأصل، والطبيعة، وقال الشاعر:
إن الشـجاعة في الفتـى والجود من كرم الغرائز

وفي الحديث: (الجبن والجرأة غرائز...)، أي أخلاق وطبائع صالحة أو رديئة. واحدها غريزة..".

(الغريزة) بوزن الغريبة: الطبيعة والقريحة وهي مصطلح من الفعل غرز (وبابه ضرب).

"وكان الاشتقاق الصريح للكلمة ما بني إلا للدلالة على هذه المعاني فوزن فعلية كقتيلة وجريحة مؤنث فعيل، وفعيل يأتي في الأصل بمعنى مفعول، وقد يأتي بمعنى فاعل مثل كريم، فالغريزة على المعنى الأول صفات أو استعدادات نفسية أو حركية، أو سلوكية مفروزة في أصل بنية الكائن الحي حتى أنه يمارسها بالفطرة التي أودعها الله فيه، من غير حاجة إلى تعلم" (طيفور، 1995).

(ب) الدوافع:

"الدوافع أسافل الميث حيث تدفع في الأودية، أسفل كل ميثاء دافعة. وقال الأصمعي: الدوافع: مدافع الماء إلى الميث، والميث تدفع إلى الوادي الأعظم، والدافعة: التلعة من مسایل الماء تدفع في تلعة أخرى إذا جرى في صلب وحدور من حذب، فتري له في مواضع قد انبسط شيئاً واستدار ثم دفع في أخرى أسفل منها، فكل واحد من ذلك دافعة والجمع الدوافع، والاندفاع: المضي في الأمر.

ثانياً: المفهوم الاصطلاحي:

أ) الغرائز:

حاول كثير من العلماء تعريف الغرائز قديماً وحديثاً وحصل بينهم اختلاف، إلا أن معظم الاختلاف كان حول المصطلح، أكثر منه حول أي شيء آخر، فبعضهم يطلق على الغرائز الدوافع وفريق آخر أطلق على الغرائز البواعث وفريق ثالث أطلق عليها الميول الفطرية، وسيأتي بسط ذلك في الأسطر القادمة.

فمن العلماء الذين عرفوا الغريزة الإمام الغزالي حيث يقول فيها:

"كل ما يدفع الناشط النفسي، أو السلوك مهما كان نوعه حركياً أو ذهنياً وإذا كان الغالب على الدافع أن يكون غير مشعور به، فإن شعرنا به كان رغبة، وإذا قوي واستقر بتأثير التجارب الانفعالية كان عاطفة".

وأما الجاحظ فقد عرفها بأنها: "قوى معروفة المقدار وشهوة مصروفة في وجوب حاجات النفس مقسومة عليها، لا يجوز تعطيلها، وترك استعمالها، ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجها وحاجاتها، ويأت المنكح من أكبرها وأقواها وأعمها" (طيفور، 1995).

وأما من المعاصرين الذين عرفوا الغريزة أحمد زكي صالح حيث قال:

"الغريزة مظهر نفسي ثلاثي البعد بمعنى أنه يوجد لها أبعاد ثلاثة، إدراك يشرها، ونشاط انفعالي يصاحبها، وسلوك تعبيرية عن نفسها".

أن الغرائز "قوة فطرية أودعها الله جسم الإنسان مقسومة بحركة داخلية ذاتية إلى المحافظة على بقاءه وبقاء سلالته فهي نزعات الفطرة".

أن مفهوم الغرائز عند العلماء الشرعيين واللغويين وعند المهتمين بالدراسات النفسية هو "مجموعة الطبائع والطبائع والبواعث والأخلاق المترسخة في النفس الإنسانية الذي يدفعها إلى نشاط سلوكي عقلي وحركي تتبين إيجابيته من سلبيته حسب صلاح النفس واستقامتها وضبطها تجاه الدوافع المثيرة للسلوك

البشري.. وهي قابلة للتوجيه الإيجابي كما هي قابلة للانحراف السلبي عن منهج الفطرة في الأصل".

وتبين من التعريف الأخير أن الغرائز تطلق على الطباع والسجايا والبواعث إن لم تكن هي الفطرة التي فطر الله الإنسان عليه (عبد الرحمن، 1970).

ب) الدوافع:

أدى الاهتمام بموضوع الدوافع إلى كثرة ما كتب عنها، وانعكس هذا على تعريفها بحيث صار هناك عدد من التعاريف ما بين موجز ومسهب حتى أصبح مصطلح الدوافع يختلف من كاتب لآخر، وإن كانوا يتفقون فيما بينهم على المضمون، إلا أن تعبيراتهم تتباين من واحد لآخر.

ثالثاً: ما الفرق بين الغرائز والدوافع؟ وما العلاقة بينهما؟

كان مصطلح الغرائز هو السائد في مؤلفات علم النفس الحديث، حيث يؤكد (ماكدوجل) في أن الغرائز: هي الدوافع الأساسية للسلوك البشري، فيعرفها بأنها استعداد فطري نفسي جسمي يدفع الفرد إلى أن يدرك ويشتهي إلى أشياء من نوع معين، وتشعر إزاءها بانفعال خاص، ثم يسلك نحوها سلوكاً معيناً أو يحاول ذلك على الأقل، والغرائز عامة يشترك فيها الناس جميعاً، في كل سلالة وفي كل حضارة وفي كل عصر، وهي دوافع فطرية لا تكتسب ولا يمكن استئصالها أو القضاء عليها.

وأما فرويد فقد تبنى وجهة للنظر الغرائزية وحاول تفسير سلوك الإنسان عن طريق غريزتين أساسيتين هما: غريزة الحياة ويمثلها مبدأ اللذة وغريزة الموت ويمثلها مبدأ العدوان، إلا أن علماء آخرين افترضوا وجود عدد أكبر من الغرائز من تلك التي أشار إليها (فرويد) و(ماكدوجل) وقد بلغ عدد الغرائز المئات بل الآلاف مما سبب إضعاف وجهة النظر الغرائزية فيما بعد، وبسبب المصاعب

المتعددة التي واجهتها نظرية الغرائز في تفسير السلوك الإنساني استبدال تعبير الغريزة بمفهوم جديد ألا وهو الدافع والحاجة.

ويرى البعض سبباً آخر وهو أن مصطلح الغريزة اصطلاح مبهم ويحمل أكثر من معنى مما يدعو إلى الارتباك ويكاد يعله عديم الفائدة، وقد كان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى اختفائه من كتب علم النفس الحديث واستعاض علماء النفس الراضين لمصطلح الغرائز بلفظ (الدوافع) في العشرينات من هذا القرن (الفريب، 1987).

وقسموا الدوافع إلى نوعين:

النوع الأول: الدوافع الأولية العضوية:

وهذا النمط يعبر عن حاجات فسيولوجية أولية وتشمل الحاجة إلى الطعام والشراب، وحفظ النوع، يترتب على إشباعها استعادة التوازن البيولوجي للكائن الحي.

وتتصف هذه الدوافع بالشدة والحدة في طلب إشباعها، وتختزل وتزول أثرها بمجرد إشباعها، وهي فطرية وموروثة ولا تختلف باختلاف النوع أو الإطار الثقافي.

النوع الثاني: الدوافع السيكلوجية المنشأ (الدوافع الثانوية):

وتتمثل دوافع النمو الإنساني وتكامل الشخصية الإنسانية، ويتم تعلمها واكتسابها من الإطار الثقافي لها ويمكن تقسيمها إلى فئتين متميزتين هما:

أ- الدوافع الداخلية الفردية: وتمثل أهم الأسس الدافعة للنشاط الذاتي التلقائي للفرد ومثالها دافع حب الاستطلاع ودوافع الإنجاز.

ب- الدوافع الخارجية الاجتماعية: وهي دوافع مركبة تعبر عن نفسها في مختلف المواقف الإنسانية وهي خارجية لكونها تخضع لبواعث وحوافز تنشأ خارج الفرد كما أنها اجتماعية لأنها متعلمة ومكتسبة من

المجتمع، مثل دافع الانتماء، ودافع السيطرة..
ونجد أن الدوافع المكتسبة لا تنشأ من عدم بل تقوم على أكتاف الدوافع
الفطرية وتثبت في ثناياها تحت تأثير العوامل الاجتماعية.
ويلاحظ أن الدوافع لها صيغة القدرة على استثارة دوافع جديدة فعندما
يعمل الفرد لتحقيق دافع معين يصادف موقفاً جديداً أو تعترضه صعوبة تثير عنده
دافعاً جديداً.. وهكذا كما أن تكرار تنفيذ الأعمال الغريزية بأساليب معينة
وبطريقة ثابتة تؤدي إلى تكوين العادات التي تعتبر دوافع مكتسبة للسلوك
وتتكون بالتعلم والمران.

يتضح مما سبق أن كلمة دافع أعم من كلمة (غريزة) فهو مفهوم واسع،
يرتبط بعدد من المفاهيم والمصطلحات التي تزيد قوة وتوجهه ومن هذه المفاهيم:
[الاهتمام - الحاجة - القيم - الاتجاهات - الميول - الحوافز - البواعث -
التطلعات..] بينما الغريزة (الفرائز) لا تعني إلا الجانب الفطري من السلوك فهي
إذن أخص لمرادفاتهما للقسم الفطري من الدوافع [الذوات - الرغبات -
الحاجات]، وبالتالي يتبين أن الدافع الفطري هو الغريزة وأن الدافع المكتسب
يتبع الدافع الفطري في التأثير والتأثر، وقد ذكر بعض الباحثين خصائص
للفرائز وهي كما يلي:

- 1 - قوة الفرائز تختلف باختلاف الأشخاص والأمم، وقد تتأثر طبقاً
للمناخ والموقع.
- 2 - موعد ظهور الفرائز ليس محدوداً وهو أكثر تنظيماً في الحيوان.
- 3 - تتعارض الفرائز ويضطرب السلوك طبقاً لتعارضها.
- 4 - تظهر الفرائز في شكل بواعث على العمل.
- 5 - المظهر الانفعالي للفرائز وراثي لا يخضع للبيئة أو التعلم.
- 6 - إشباع الفرائز تؤهل الفرد أن يكون سويماً.
- 7 - الفرائز فطرية غير مكتسبة.

- 8 - الغرائز عامة في جميع أفراد الجنس.
- 9 - الغرائز تؤدي إلى غاية حيوية وتهدف إلى الحفاظ على حياة الفرد.
- 10 - كل سلوك غريزي مصحوب بإدراك ونزوع: أي استعدادات حركية ينتج عنها سلوك يحقق هدف الغريزة.
- 11 - يحسب الدافع الغريزي بعض الانفعالات وحاجات عضوية تبدو جلية في العضو.
- 12 - توجه الغرائز في الحيوانات بعدد محدود وهي أكثر عدداً لدى الإنسان.
- 13 - للغرائز مظهر انفعالي يصعب تعديله وأثر البيئة عليه ضعيف.
- 14 - تحتاج الغرائز إلى مثير ينشطها وانفعال يصاحبها وسلوك يصدر عنها.
- 15 - تتحول الغرائز من حيث المثيرات والانفعالات.
- 16 - قد تكون قوة الغرائز متفاوتة عند الفرد وكذلك تتفاوت بين فرد وآخر.
- 17 - الغرائز تنمو وتضعف بالمران والتهذيب والاستمرار أو الإهمال. (بليسي، ومرعي، 1987).

أما خصائص الدافعية (الدوافع) فهي كما يلي:

- 1 - الغرضية: إذ أن الدافع في أساسه، يوجه السلوك نحو غرض معين ينهي حالة التوتر.
- 2 - النشاط: إذ يبذل الإنسان نشاطاً ذاتياً تلقائياً ليُشبع الدافع.
- 3 - الاستمرار: يستمر نشاط الإنسان بوجه عام حتى ينهي حالة التوتر التي أوجدها الدافع.
- 4 - التنوع: يأخذ الإنسان في تنوع سلوكه وتغيير أساليب نشاطه عندما لا يستطيع إشباع الدافع بطريق مباشر.

- 5 - التحسن: يتحسن سلوك الإنسان أثناء المحاولات لإشباع الدافع مما ينتج عنه سهولة في تحقيق أغراضه عند تكرار المحاولات التالية.
- 6 - التكيف الكلي: يتطلب إشباع الدافع من الإنسان تكيفاً كلياً عاماً.
- 7 - تحقيق الغرض: ويتم ذلك عندما يتوقف السلوك عندما يتم تحقيق الغرض.

ومن خلال ما سبق سيقوم المؤلف باستخدام كلا المصطلحين (الفرائز والدوافع)، قاصداً ما هو فطري من أصل خلقة الإنسان وما هو مكتسب، إلا أنه يجب النوه أن مصطلح غريزة هو المصطلح السائد، حيث يقول: "الجبلات مختلفة، بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان: أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة..".

مفهوم العقل في القرآن:

بالنظر إلى المعاني اللغوية المستمدة من القرآن الكريم نجد أن مادة "عقل" وردت تحمل العديد من المعاني ومنها كالآتي:

المعنى الأول: الحبس ومنه العقل: الحابس عن ذميمة القول، "عقل) العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميمة القول والفعل..

المعنى الثاني: العقل نقيض الجهل، "قال الخليل(بن أحمد الفراهيدي): العقل: نقيض الجهل. يقال عقل يعقل عقلاً، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء. وعاقلون. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل"

المعنى الثالث: الحجر والنهي، "العقل الحجر والنهي ضد الحمق والجمع عقول، وفي حديث عن عمرو بن العاص قال: تلك عقول كادها بارئها أي أرادها

العالم بما كان وما يكون قبل كونه وبما يكون" ، وذلك لأنه سبحانه وتعالى مدرك لحقيقة الأشياء ، وخفايا الأمور.

المعنى الثاني: العلم نقيض الجهل ، "والعلم نقيض الجهل علم علماء وعلم هو نفسه ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا قال سيبويه يقول علماء من لا يقول إلا عالما"

المعنى الثالث: بمعنى التعلم والتفقه ، "وتعلمت الشيء، إذا أخذت علمه. والعرب تقول: تعلم أنه كان كذا، بمعنى أعلم" ، ومن ذلك أن يقال متعلم ومتفقه، ومشتقات العلم كثيرة، ومن خلال ما سبق، وبالتأمل في مادة علم ومشتقاتها في القرآن الكريم نجد أنها تكررت مئات المرات، "ف فعل تعلمون" في خطاب الجمع تكرر 56 مرة، بالإضافة إلى 3 مرات بصيغة "فستعلمون"، و9 مرات بصيغة "تعلموا" و58 مرة بصيغة "يعلمون"، و7 مرات "يعلموا"، ونحو 47 مرة تكرر فعل "علم"، وما يشتق عنه وما يتعلق به. كما تكررت صفة "عليم" معرفة ومنكرة 80 مرة. وكل هذا التكرار لهذه المادة ومشتقاتها دليلٌ مؤكدٌ على فضل العلم، وبالغ أهميته في القرآن الكريم" وبالنظر لما سبق فإن مفهوم العلم في القرآن تضمن العديد من المعاني الدالة على إدراك الأشياء والحكم عليها، العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء. والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه. فالأول هو المتعدى إلى مفعول واحد نحو "لا تعلمونهم الله يعلمهم" والثاني المتعدى إلى مفعولين نحو قوله: "فإن علمتموهنَّ مؤمنات" وقوله: "يوم يجمع الله الرسل" إلى قوله: "لا علم لنا" فإشارة إلى أن عقولهم طاشت(سقا، 2001).

والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملية ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات ومن وجه آخر ضربان: عقلي وسمعي، وأعلمته وعلمته في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى

يحصل منه أثر في نفس المتعلم." وعلى ذلك ووفقاً للمعاني اللغوية يكون من المعنى الأول (العلم المطلق) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]. ويكون من المعنى الثاني (نقيض الجهل) قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]. ويكون من الثالث (التعلم والتفقه) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 110].

وبهذا يتضح لنا فضل العلم والتعلم لأن بالعلم حياة العلم، وبالعلم يستطيع العقل أن يعمل ويحلل ويقيس وينظر، فالعلاقة بينهما واضحة، فلا غنى للعقل عن العلم، ولا علم بدون تعقل. وقد فرق العلماء بين العلم والمعرفة وبعضهم قال أنهما بمعنى واحد، وفيما يأتي سنبين ذلك بالتفصيل.

مفهوم المعرفة في القرآن:

بالنظر إلى المعاني اللغوية المستمدة من القرآن الكريم نجد أن مادة "عرف" وردت تحمل العديد من المعاني ومنها كالآتي:

المعنى الأول: بمعنى العلم وعليم، جاء في لسان العرب: "والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم"، وبهذا المعنى تكون المعرفة متحدة المعنى مع العلم، كما قال ابن منظور: "العرفان: العلم" وفرق بينهما بعضهم، قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان عرفه يعرفه عرفة وعرفانا وعرفانا ومعرفة واعترفه".

المعنى الثاني: التتابع والسكون والطأنينة، جاء في مقاييس اللغة: "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض، والآخر على السكون والطأنينة، فالأول العرف: عرف الفرس. وسمى بذلك لتتابع الشعر عليه والأصل الآخر المعرفة والعرفان. تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة. وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكرو شيئاً توحش منه ونبا عنه (العيساوي، 1991).

المعنى الثالث: الرائحة الطيبة والمعروف الحسن، ورد في القاموس: "ومن الباب العرف، وهي الرائحة الطيبة. وهي القياس، لأن النفس تسكن إليها، والعرف: المعروف، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه". فمن المعنى الأول (العلم) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: 83]، ومن المعنى الثاني (التتابع والسكون والطمأنينة) قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف: 58]، ومن المعنى الثالث قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ [محمد: 16]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199]. وبالنظر والتأمل في القرآن نجد أن مادة "عرف" وردت في مواضع عدة، فقد ورد الفعل بصيغة المضارع والماضي 22 مرة، دلالة على شرف المعرفة، وصلتها بالعلم وأن لها معنى أوسع وأعم دلالة.

وقد فرق قوم بينها وبين العلم، والبعض الآخر لم يفرق، قال الزبيدي في "تاج العروس": "العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد" ثم نقل التفريق في ذلك بين أئمة اللغة فقال: "والأكثر من المحققين يفرقون بين الكل، والعلم عندهم أعلى الأوصاف؛ لأنه الذي أجازوا إطلاقه على الله تعالى، ولم يقولوا: عارف في الأصح، ولا شاعر، والفرق مذكورة في مصنفات أهل الاشتقاق. ووقع خلاف طويل السذيل في العلم، حتى قال جماعة: إنه لا يحد لظهوره وكونه من الضروريات، وقيل: لصعوبته وعسره، وقيل: غير ذلك، مما أورده بماله وعليه الإمام أبو الوفاء "الحسن بن مسعود" اليوسي في قانون العلوم، وأشار في الدر المصون إلى أنه إنما يتعدى بالباء؛ لأنه يراعى فيه أحيانا معنى الإحاطة، قاله شيخنا" (سقا، 2001).

"المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الإنكار، ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال الله يعلم

كذا ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر، وأصله من عرفت أي أصبت عرفه أي رآته، أو من أصبت عرفه أي خده، يقال عرفت كذا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة اية: 89)، ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف اية: 58) ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد اية: 30)، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ (البقرة: 146) ومما سبق يتضح أن الفرق بين العلم والمعرفة يتسم بالآتي:

الفرق بين العلم والمعرفة:

1. أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله.
2. أن المعرفة - في الغالب - تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإن أدركه قيل: عرفه، بخلاف العلم، فالمعرفة تشبه الذكر النفسي، وهو حضور ما كان غائباً عن الذكر، ولهذا كان ضدها الإنكار، ومنها: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَوَكَّرُوهَا وَكَثُرُوا﴾ (النحل: 83). وضد العلم الجهل.
3. أن المعرفة أعم من العلم، العلم خاص بما لم يسبق بجهل، لذلك يستعمل في حق الله تعالى العلم، ولا تستعمل في حقه المعرفة، لأن المعرفة هي المسبوقة بجهل.
4. أن المعرفة علم لعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم فإن قد يتعلق بالشيء مجملاً.
5. أن المعرفة تعني إدراك الحقائق، وانبثاقها من الأعماق، والعلم يعني فهم الحقائق وورودها من خارج ذواتنا، ومن ثم بقائها في عقولنا متحيزة متميزة.

6. ومن الصوفية من يفرق بين العارف والعالم، فيجعل العارف أخص من العالم.

والفروق كثيرة وما سبق هو حسب اطلاع المؤلف، وما يهمنا في هذا المقام هو إيضاح مفهوم المعرفة، وقد سبق إيضاح المفهوم بأن المعرفة هي إدراك الشيء بتدبر وتأمل في آثاره، وهي أخص من العلم، وتعني ممارسة النشاط المعرفي، كما يعرف عماد الدين خليل إسلامية المعرفة بأنها: "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"، وبذلك تتضح لنا الصورة الشاملة للمعرفة ومفهومها، وأن دائرة انطلاقها هو العقل، ومحك بلورتها هو العقل، وبلا عقل فلا علم ولا معرفة، وهكذا تزداد أهمية العقل ودوره في البناء المعرفي في المنظور القرآني، وذلك لما للعقل من بالغ الأهمية في توجيه العلم والمعرفة باعتباره وعائهما الرئيس. والله تعالى أعلم. (العيساوي، 1991).

دور العقل في البناء المعرفي من منظور القرآن

لقد اعتنى القرآن الكريم بتكوين العقل وتوجيهه، وذلك من خلال تكوين العقلية العلمية الفريدة والتميزة، المستتيرة بنور الوحي المبارك، العقلية الراضية لكل تقليد وتبعية، الشائنة بالغوغائية والخرافية الظلامية، الغير مستسلمة للثقافة المستعارة، ثقافة إننا وجدنا أباينا على أمة.

وكما هو متقرر أنه لا يمكن للعلم أن يزدهر ويتطور، ويبنى على جذور راسخة، وتمتد إلى الأرجاء فروعها، ولا يمكن للأفكار أن تتضح، وللتفكير أن يتلاقح، وللآراء أن تُدرس وتناقش، ما لم تكن وفقاً للعقلية العلمية القرآنية، وهذا ما عمل القرآن على إيجاده، بدعوته القوية، وتوجيهاته النيرة والمتكررة لتكوين "العقلية العلمية" المتحررة، التي لا تنهض العلوم إلا على كاهلها، يقول الشيخ القرضاوي: "فهو - أي القرآن - يرفض "العقلية الخرافية"، ويرفض "العقلية

المقلدة"، ويرفض العقلية المتخرصة"، ويرفض "العقلية المقلدة" ويرفض "العقلية المتخرصة" ويرفض "العقلية المتبعة للهوى".

إن دور العقل في البناء المعرفي لا ينبغي أن يكون في مجال حفظ العلوم واستظهارها، فإن بني إسرائيل كان اختلافهم بعد أن علموا الحق وعرفوا الحقيقة، بل لا بد أن يكون دور العقل في كيفية ترجمة العلوم إلى معارف تفاعلية تنعكس على السلوكيات، ويتضح أثرها في التعامل والاختلاط، وينبغي ألا يقتصر هذا الدور على زاوية واحدة سواءً أكانت زاوية الفرد أو الكون أو الواقع، بل لا بد أن يشمل دور العقل كل هذه الزوايا مجتمعة حتى يكون هناك من التكاملية والفاعلية في المعرفة ما لا يحدث تصادم بين المعارف والقناعات لدى الفرد.

إن المنهج القرآني منهجٌ يدعو إلى أن يتولى العقل دوره الريادي في المعرفة والبناء العلمي، والحصول على أعلى الرتب العلمية سعياً في محاربة الجهل، ومحو أمية العقل، وجاهلية الموجودات منه، ويدعو إلى المعرفة المطلقة، والمعرفة بوجود الله تعالى، والمعرفة بما في الكون من مخلوقات، وموجودات، ويتضح هذا المفهوم من خلال النقاط الآتية:

1-التعلم وأمر القرآن بالعلم:

لأن أمة القرآن هي أمة "اقرأ" فقد كان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1]، ثم تلتها آية التوكيد على الأهمية والفضل: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) [العلق:3]، وإن المتتبع لآيات فضل العلم ودعوة القرآن للعلم والتعلم يقر في مكنون نفسه أن دور العقل دور كبير ينبغي أن يضطلع فيه، ومن المعروف أن العلوم الإسلامية التي ورثها لنا الأولون زاخرة بالدرر والكنوز، التي تؤكد الدور الملقى على العقل.

فإن دور العقل المسلم في البناء المعرفي من جانب التعليم وطلب العلم ينبغي أن يرقى إلى درجة المسؤولية في فهم العلوم الموروثة، والاجتهاد والتجديد فيها بما

بواكب ثقافة العصر، وبما يواجه التحديات الراهنة، ولا يقف دور العقل في البناء المعرفي عند حفظ العلوم واستظهارها فحسب بل يتعدى الأمر إلى فهمها وتحليلها وتنقيتها من الشوائب والدخن، ذلك أن المنهجية القرآنية قادرة على قيادة العقل نحو التفاعل مع المعطيات والمؤثرات الخارجية،: "والمنهجية القرآنية قادرة على التفاعل مع ظواهر بناء وتشكيل العقل المسلم، ومعالجة قضاياها التاريخية والمعاصرة باعتبارها سبيلاً لذلك لأن المنهج سبيل للوصول إلى الحقيقة وطريقة تسلك في فهم الظواهر وتحليلها" (سقا، 2001).

2- الضوابط العلمية لعمل العقل في القرآن:

لقد وضع القرآن الضوابط العلمية التي تحكم مسار العقل في تعامله مع العلم، وتتمثل هذه الضوابط في العقلية العلمية التي دعا لها القرآن، هذه العقلية من ضوابطها أنها ترفض الظن في مواضع اليقين، فالنظرة إلى الخالق والكون والإنسان والحياة من القضايا التي لا يكفي فيها الظن، بل لابد فيها من العلم اليقيني، ومن هنا أنكر القرآن على المشركين اتباع الظن في مثل هذه القضايا الهامة، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: 36]، وقال في موضع آخر: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: 28]، ومن تلك الضوابط رفض التقليد الأعمى للأباء والأسلاف، فالعقل لا بد له من التحرر والانطلاق بين أفياء المعرفة، وبساتين العلم، يستنتج ويستتبط ويحلل ويقيس، لقد شن القرآن حملة عنيفة على الجمود والتقليد في كل صورته، وسائر أشكاله، حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة آية: 170)، ويقول تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ (هود: آية 109).

والقرآن زاخر بمثل هذه الآيات الراضية للتبعية والتقليد في الاتباع لأن ذلك يلغي عمل العقل ويوقفه عن العمل، ويؤدي إلى جموده وإنكاره للجديد في مجال

المعرفة والتكنولوجيا، والتقدم العلمي بكل صورته وألوانه، ومن تلك الضوابط رفض التبعية للسادة والكبراء، فإن هذا اللون من التبعية لأصحاب السلطان والثراء مفسدة للعقل كذلك، من حيث كونه خوفاً وتعطيلاً للعقل وعمله في العطاء، ولقد ذم القرآن هذا النوع من التبعية العمياء، حيث قال في قصة فرعون: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (هود آية: 97)، وقوله تعالى في قصة هود: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (هود آية: 59). ومن الضوابط القرآنية للعقلية العلمية عدم اتباع الأهواء والعواطف في مجال العلم، فالعقل لا بد أن يؤدي دوره في المعرفة والعلم باتباع الحقيقة وإظهارها والصدع بها، وعدم التنازل عن الحقائق، أو تدويرها بسبب العاطفة والهوى فإن ذلك مما يتصادم مع الحق والهدى، ومع العقل نفسه، والقرآن صريح في هذا حيث قال الله لداود: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص آية: 26)، وقال سبحانه وتعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: آية 50).

إن دور العقل في البناء المعرفي لا يتعدى أن يكون الدور الباحث عن الحقيقة، والمتبع للدليل، والهدى والنور المبين، وفق الفهم السليم والبعيد عن الغلو والتطرف والتبعية، والانحياز لفكرة خاطئة، أو دليل ضعيف، أو منهج ضال، أو نهج غير سوي، ولا بد للعقل المسلم أن يتعبد الله تعالى بالنظر العقلي الذي دعا إليه القرآن الكريم في مواضع عدة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: 5]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [عبس: 24]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: آية 20)

ولا بد للعقل أن لا يقبل دعوى بغير برهان، فإن هذا من الضوابط القرآنية للعقلية العلمية في القرآن، وهذه حقيقة أكد عليها القرآن حتى يكون عمل العقل وفق دليل يستند عليه، وهذا مما زخرت به الآيات أيضاً، حيث يقول تعالى: ﴿أَمْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل آية: 64)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (الأنبياء آية: 24)، ومن هنا كان الشرك جهل لأنه دعوى بدون برهان، ولقد أتى القرآن يحمل بين جناباته البراهين الراضية لكل دعوى بدون حجة، وأقام الدليل على القضايا العقائدية الكبرى، المتمثلة بوجود الله تعالى، ووحدانيته وتنزيهه عن الولد، وإنزال الكتب وإرسال الرسل، والبعث والجزاء، وذلك بأدلة واضحة الثبوت قطعية الدلالة، وقع بها التحدي والإعجاز، مما لا يدع للعقل مجالاً للتردد وإتباع غير الحق والدليل، والمغزى من ذلك تعليم العقل منهجية أخذ الدليل والبرهان، ورفض التبعية والتقليد القائم على الهوى والجهل، ومن الضوابط القرآنية للعقلية العلمية، احترام السنن والقوانين التي أقام الله عليها نظام الكون، وعليها نظام المجتمع، هذه السنن والقوانين لها صفة الدوام والشمول، وكذلك الثبات، ومن ذلك سنن الله في أخذ الظالمين، وسنة الله في النصر والهزيمة، وفي البقاء والهلاك حيث يقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (آل عمران آية: 137)، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23]، بعد ذكر أحوال المنافقين. وهكذا ينبغي أن يفهم العقل النصوص من زاوية التصور القرآني للكون والحياة والإنسان.

ولا يتوقف دور العقل عند ممارسة النشاط الفكري، والتزام العلمية القرآنية في الطلب والتحصيل، والقراءة والنظر، بل يتعدى ذلك إلى التجديد والابتكار.

التعلم في القرآن

مصادر العلم :

يكتسب الإنسان العلم أو المعرفة من مصدرين رئيسيين: مصدر الهي ، ومصدر بشري. وهذان النوعان من العلم متكاملان ، ويرجعان أساسا إلى الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان ، وأمدّه بأجهزة وأدوات للإدراك واكتساب العلم.

ماذا تعني بالمصدر الإلهي في العلم ؟

هو ذلك النوع من العلم الذي يأتينا مباشرة عن الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي أو الالهام أو الرؤيا الصادقة.

ماذا تعني بالمصدر البشري في العلم ؟

هو ذلك النوع من العلم الذي يتعلمه الإنسان من خبراته الشخصية في الحياة ، ومن اجتهاده الخاص في الاستطلاع والملاحظة ومحاولة حل ما يجابهه من مشكلات عن طريق المحاولة والخطأ ، أو عن طريق التربية والتعليم من والديه ومن المؤسسات التعليمية أو عن طريق البحث العلمي.

هذا العلم الذي نحصل عليه نتيجة اجتهادنا البشري ، هو أيضا ، في الحقيقة ، مستمد من الله تعالى ، فهو جل شأنه الذي يمدنا بأدوات الإدراك التي نحصل بها العلم ، وهو الذي يهدينا إلى ارتياد المسالك الصحيحة للوصول إلى العلم ، وهو الذي يهدينا إلى اليقين بما نصل إليه من نتائج (قطب، 1978).

تعلم آدم للغة :

لغة أهميه كبيره في حياة الإنسان وفي تمكينه من التقدم المستمر في تعليمه وتفكيره ، فقد كان أول شئ علمه الله لأدم عليه السلام هو أسماء جميع الأشياء.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ عَلِمْتُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة: آية 31-33).

أهمية اللغة من المنظور الإسلامي ؟

إن أول سورة نزلت في القرآن كانت تحت على القراءة ، وتشير إلى فضل الله تعالى على الإنسان إذ أوجد في طبيعته القدرة على تعلم اللغة ، وتعلم القراءة والكتابة والعلوم والصناعات المختلفة ، والهدى والقران ، وما لم يكن يعلم الإنسان من قبل أن يهديه الله تعالى إلى تعلم ما وصل إليه من علم.

قال تعالى ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (سورة العلق: آية 1-5)

التعلم بالتقليد من المنظور الإسلامي ،

- يتعلم الإنسان كثيرا من سلوكه وعاداته في المرحلة المبكرة من حياته عن طريق تقليد والديه وإخوته. فهو مثلا ، يبدأ تعلمه للغة بمحاولة تقليد والديه وإخوته في النطق ببعض المقاطع الصوتية التي يكررونها أمامه عدة مرات.

- وقد ذكر القران مثلا يبين كيف يتعلم الإنسان عن طريق التقليد ، وذلك حينما قتل قابيل أخاه هابيل ولم يعرف كيف يتصرف في جثة أخيه فبعث الله تعالى له غرابا ينبش في الأرض ليدفن غرابا ميتا ، فتعلم منه قابيل كيف يوارى جثة أخيه (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ

- ولما كان الإنسان يميل بطبيعته إلى التقليد ، ويتعلم كثيرا من سلوكه عن طريق التقليد ، كانت للقدوة الحسنة أهمية كبيرة في التربية

والتعليم. وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة للصحابة رضي الله عنهم ، يتعلمون منك كيف يؤديون العبادات ، ويتعلمون منه حسن السلوك ومكارم الأخلاق ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الاحزاب: اية 21).

- ويتعلم الإنسان عن طريق القدوة الحسنة عاداته الحسنة وأخلاقه الكريمة ، كما يتعلم عن طريق القدوة السيئة عاداته السيئة وأخلاقه القبيحة مثل: الاقتداء بالآباء في عباداتهم الخاطئة والتمسك بآرائهم وتقاليدهم .

التعلم بالمحاولة والخطأ من المنظور الإسلامي ،

يتعلم الإنسان عن طريق التجربة العملية في مواجهة مشكلات الحياة المختلفة ، ومحاولة حلها والتغلب عليها. ويتوافق الإنسان دائماً لمثل هذه المشكلات الجديدة بأن يحاول أن يستجيب لها باستجابات مختلفة ، فيخطئ في بعضها ، وقد يصيب أحياناً ، وهكذا يتعلم الإنسان دائماً ، عن طريق ما يسميه علماء النفس المحدثون المحاولة والخطأ (نجاتي، 1993).

- اهتم القرآن بدعوة الناس إلى التعلم عن طريق ملاحظتهم للأشياء وتجربتهم العملية في الحياة ، وعن طريق تفاعلهم مع الكون وما فيه من مخلوقات وأحداث ، سواء كان ذلك عم طريق التجربة العملية والمحاولة والخطأ، أو عن طريق التفكير.

- وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أهمية التعلم من التجربة العملية في الحياة، فعن طلحة بن عبيد الله قال (مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رؤوس النخل فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظن هذا يغني شيئاً، قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل).
قال تعالى ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: آية 7)

مبادئ التعلم في القرآن :

الأساليب المختلفة التي استخدمها القرآن في إثارة دوافع المسلمين للتعلم

أ. إشارة الدافع بالترغيب والتهريب :

- 1 - حينما يكون لدى الإنسان دافع قوي للحصول على هدف ما ، فإن الحصول على هذا الهدف الذي يشبع دافعه يعتبر ثواباً أو مكافأة تسبب الشعور باللذة ، أو السرور و الرضا.
- 2 - والفشل في الحصول على هذا الهدف يعتبر نوعاً من العقاب الذي يسبب له الشعور بالألم ، أو الضيق والكدر.
- 3 - والإنسان يميل بطبيعته إلى ما يسبب له اللذة ، ويتجنب ما يسبب له الألم ، وقد أثبتت التجارب الكثيرة التي أجراها علماء النفس المحدثون هذه الحقيقة.
- 4 - وقد اهتم القرآن في دعوته إلى الإيمان بعقيدة التوحيد بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في الثواب الذي سيحظى به المؤمنون في نعيم الجنة ، وبترهيبهم من العقاب أو العذاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم.
- 5 - القرآن لا يعتمد على الترهيب فقط ، أو الترغيب فقط ، وإنما يعتمد على مزيج منهما: الخوف من عذاب الله ، الرجاء في رحمته وثوابه.
- 6 - وقد عبر القرآن عن ذلك في وصف أصفياء الله من الأنبياء وعباده الصالحين فقال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾

ب. إثارة الدافع بالقصص:

إن للقصة تأثيراً تربوياً هاماً مما يجعل المربين منذ قديم الزمان يستخدمونها في تربية النشأ وتعليمهم المثل العليا ، والقيم الدينية والخلقية. فالقصة بما تصوره من أحداث ووقائع تشد الانتباه ، وتشوق المستمعين إلى تتبع أحداثها ووقائعها ، ويتأثرون بها عاطفياً ، فتصبح عقولهم ونفوسهم متقبلة لما تتضمنه من حكم ومواعظ وعبر، ولما ترغبهم فيه من مثل عليا وقيم.

ولقد كان القصص من الوسائل الهامة التي استعان بها القران لإثارة الدافع للتعلم ، لما تشيره من تشويق ، ولما تستدعيه من إنتباه. وكان القران يبيث في ثنايا القصص ما يريد أن يبلغهم من أخبار الأنبياء و الرسل السابقين و تحذيرهم من سوء المصير الذي لحق بالكافرين من الأمم السابقة ، أو ما يريد أن يعلمهم من مبادئ الدين وأصول العقيدة ، أو من عبر وحكم.

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

ج. الاستعانة بالإحداث الهامة:

من العوامل التي تساعد على إثارة الدافع والانتباه وقوع بعض الإحداث أو المشكلات الهامة التي تهز وجدان الناس وتثير اهتمامهم وتشغل بالهم. يكون الناس عادة تحت تأثير هذه الإحداث الهامة التي تمر بهم في حالة تهيؤ واستعداد لتعلم العبرة المتضمنة في هذه الإحداث.

وقد استعان القران بالإحداث الهامة التي كانت تمر بالمسلمين لتعليمهم بعض العبر المفيدة لهم في حياتهم.

ومن الطبيعي أن يكون المسلمون في أوقات وقوع هذه الأحداث المثيرة لوجدانهم أكثر استعداداً ، وأكثر قبولاً لتعلم العبرة واستيعابها.

ومن أمثلة ذلك ما حدث في غزوة حنين حينما أعجب المسلمون بكثرتهم وقوتهم و اطمأنوا إلى أنهم سينتصرون على الكفار ونسوا بأن النصر بمشيئة الله

وحده ، فأرد الله تعالى أن يعلم المسلمين أن الكثرة لا تؤدي بالضرورة إلى النصر ، وإنما ينصر الله من يشاء من عباده الذين يعمر الإيمان والتقوى قلوبهم حتى ولو كانوا قلة.

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة: آية 25-26).

يعتبر المعلم عامل أساسي في نجاح العملية التعليمية، وهو من أهم عناصر هذه العملية، فالتعليم لا يتم بغير معلم، ونحن بحاجة للمعلم الصالح الذي هو المربي وحامل الرسالة التي هي من أقدس وأشرف الرسالات، فهو صانع الحضارة وناقل لثقافة المجتمع ومشارك في إعداد طفل اليوم رجل المستقبل، ليكون مواطناً صالحاً يعرف ماله وما عليه، فيألي المربي الأمين يسلم الوالدان بثقة واطمئنان فلذات أكبادهم، وبأمل عريض مرتقب تلقى الأوطان إلى هذا المربي بمستقبل ناشئها، فبقدر ما يكون هذا المربي أهلاً للأمانة وبقدر ما يبذل من علمه وفنه وأخلاقه في إعداد النشء للحياة، نضمن مستقبل البلاد وازدهارها.

إنها رسالة مقدسة، والمعلم هو صاحب هذه الرسالة التي تتطلب منه أن يتمسك بأخلاقها ليعزز التماسه لها فيضحي من أجل ما تنطوي عليه هذه الرسالة من قيم ومبادئ إنسانية وخلقية واجتماعية (سقا، 2001).

تتطلب مهنة المعلم شخصية متميزة في سلوكها ومظهرها ونفوذها وثقافتها فهو قدوة الطالب في حديثه وتصرفه وملبسه وما يلم به من علم وثقافة وتقع على كاهله مسئولية كبيرة وفي صلاحه صلاح العملية التعليمية برمتها.

ولقد كان لعلماء التربية المسلمين الأوائل نظرة خاصة للمعلم وحددوا له سمات وخصائص تعرفنا عليها من خلال المتون التي وردت في كتبهم وعلماء التربية الحديثة من عرب وأجانب تحدثوا الكثير عن المعلم ولكنه ليس بجدير

عما آلت إليه التربية الإسلامية الأصيلة التي كان لها قصب السبق في الاهتمام بالمعلم والمتعلم.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول الذي رباه الله رب العالمين على فكر الإسلام وصقله بخلق الإسلام حيث قال: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ (القلم آية: 4).

الصفات المعلم في الاسلام

الصفة الأولى- الإخلاص لله وحده:

النية الصحيحة مطلوبة في كل قربة يُرجى ثوابها عند الله، ومن ذلك التعلّم والتعليم، ويتأكد ذلك في علوم الشرع.. والنية تحتاج إلى مجاهدة في تحصيلها واستصحابها، وإلى مدافعة أضرارها ومفسداتها، والنية هي سبب قبول وتوفيق وحصول بركة وتسديد.

وفي الشريعة الغراء من الآيات والأحاديث كثيرة جداً، والسبب يكمن في أهميته كالتقوى.. بل ربما أهم لأنه أساس قبول الأعمال أو ردّها، وهذا ثابت في القرآن والسنة.

والله تعالى تكلم عن الإخلاص في آيات كثيرة، من أبرزها قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة آية: 5).

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: آية 110).

فعلى المُعلِّم أن يتحرى بعلمه وتعليمه وجه الله تعالى والدار الآخرة، لا مباحة العلماء أو ممارسة السفهاء أو مجارة الأغنياء أو مداينة الأمراء.. وفي الحديث: «أول من تُسعر بهم النار ثلاثة نفر: باذل للمال، وطالب للعلم، وخارج للقتال»، لكنهم لم يقصدوا بأعمالهم إلا وجوه الناس وثنائهم، وقد وجدوا ما قصدوا إليه، فحرمهم القبول والثواب

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ص قال: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»

الصفة الثانية- التقوى:

فمن صفات المُعَلِّم والقائد التربوي تقوى الله عزَّ وجلَّ، وهي الخوف والخشية منه سبحانه، واتقاء عذاب الله بالمراقبة الدائمة لله، والتزام المنهج الرياني في السرِّ والعلن، وبذل الجهد دوماً لتحريِّ الحلال واجتتاب الحرام.

والتقوى هي صفة داخلية تجعل العبد دائم الصلة بالله تعالى، وتجعله ريانياً في كلِّ حركاته وسكناته عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسَيْتُ﴾ (الأنعام آية: 162)

وما أكثر الآيات والأحاديث التي تكلمت عن التقوى، بل حضت وأمرت بها، لكونها دعامة أساسية في حياة المؤمن بالله تعالى ونكتفي ببعض تلك النصوص التي تتعلق بالجانب التربوي الذي هو مجال بحثنا الآن قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: آية 70).

الصفة الثالثة- الصبر والعلم:

من المعايير التي يجب أن يتَّصف بها المُعَلِّم والقائد التربوي معيار الصبر، لأنَّ الصبر قوةٌ خفيةٌ من قوى الإرادة تُمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المشاق والمتاعب والآلام.

والصبر يعني الحبس والكف، فالصوم من الصبر لما فيه من حبس النفس وكفها عن الطعام والشراب والشهوة ساعات معلومات، وأكثر الأخلاق الإيمان داخله في الصبر يقول الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: آية 77).

ولعظمة خلق الصبر والتحمل فإنَّ التحلي به له الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى أعلن حبه للصابرين بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ ﴿ (آل عمران آية: 146).

وإذا كان المُعلِّم وهو القائد التربوي المسلم يتحلَّى بهذه الصفة ويعمل على تتميتها في نفسه وسلوكه وعمله فإنَّ الله سيكون معه لا محالة؛ إذ يقول عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة آية: 153)

كما أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُجزِل ثواب الصابرين الذين يستعينون بالصبر على طاعة الله ويستعينون بالصبر في جميع أعمالهم ومعاملاتهم، قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر آية: 1-3).

الصبر مهم، يريد منك طول البال وسعة الصدر، وتذكَّر دائماً أن أجرك محفوظ عند الله تعالى، وأنَّ هذه أمانة في عاتقك وعاتق المرين في المقام الأول. وعلى المرَبِّي الناجح أن يدرك أنَّ الناس قد خلقهم الله عزَّ وجلَّ ذوي أمزجةٍ مختلفة، وذوي حاجاتٍ ومصالحٍ ومشاكلٍ وهمومٍ مختلفة كذلك؛ فهم ذوو كياناتٍ مختلفة، فيحتاجون إلى من يتَّسع قلبه لهم، فالمرَبِّي والمُعلِّم كما قيل كالشمعة تحترق لتضيء لغيرها، فالمرَبِّي تهمة سعادة وصلاح الناشئة وأجره يحسبه عند الله تعالى.

ومن متطلِّبات الصبر أن يكون صبوراً على معاناة التعليم وتقريب المعلومات وتوضيح الأفكار للطلاب مرةً تلو مرة إلى أذهان الطلاب، وذلك يتطلَّب مراساً وتكراراً وتبويغاً للأساليب، وحمل النفس على تحمل المشقة، هذا لأنَّ الطلاب ليسوا سواء في القدرة والتعليم.

فمنهم من يفهم العبارة والدرس من أول شرح لها، ومنهم من يحتاج إلى إعادة وتكرار وشرح وتفصيل، فعلى المُعلِّم أن يُدرِّب ويُعوِّد نفسه على ذلك الطريق.

الصفة الرابعة- العدل في المعاملة :

العدالة في ذاتها مطلوبة لأنها من أقرب القربات إلى الله تعالى، فقد أمر

الله بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: آية 90).

فعلى المؤمن أن يقاوم الباطل، وأن ينصر الحق بكل مرتخصٍ وثمانين، وأن يؤيد الحقَّ حيثما كان.. وليس في الإسلام طبقية، فلا يُكرم الغني لغناه ولا يُذلُّ الفقير لفقره (المرشدي، 1993).

الصفة الخامسة- التواضع:

حرص الإسلام على صفة التواضع في المسلم، وحرص على ترغيب المسلمين فيها، ولقد كانت سيرة الرسول ص مثلاً حياً في التواضع وخفض الجناح ولين الجانب وسماحة النفس، فقد أجمع كلُّ من عاصر النبي ص على أنه كان يبدأ أصحابه بالسلام، وينصرف بكليته إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً، وكان آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا أقبل جلس حتى ينتهي المجلس.

وكيف لا يكون ص بهذا التواضع الجَمُّ وقد أنزل الله عليه قوله:

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء آية: 215).

ويقول الرسول الكريم ص: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحدٌ لله إلا رفح» (فهمي، 2001).

الصفة السادسة- الرحمة والتسامح:

المُعلِّم يُعامل الطالب كأحد أبنائه، حريص عليه وعلى مستقبله، ولهذا ينبغي معاملته بالحسنى، وإظهار الرحمة والشفقة والتلطُّف في معاملته، وإشهار الثناء عليه إن أحسن، منفرداً أو في جماعة.. فالناس تُفتح قلوبهم للرحمة والتسامح واللين، وينفرون بطبائعهم من الفظاظة والخشونة والعنف.. ومن هنا كان قول الله تبارك وتعالى لنبيه ص:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضْنَا مِنْ حَوَاكِ﴾ (آل عمران آية: 159)

أي لو كنت سيئ الكلام، قاسي القلب عليهم لانفضُّوا عنك وتركوك، ولكنَّ الله جمعهم عليك، وآلان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم

الصفة السابعة- الوفاء بالوعد:

إنَّ الوفاء بالوعد من خُلق المؤمن، بل الخلف من خصال النفاق، وإخلاف الوعد مظهر من مظاهر عدم الجدية واللامبالاة، ينطبع في أذهان الطلاب عن شخصية مُعلِّمهم، ويعطيهم مقياساً لضآلة قدرهم عنده.

وهذه سلعة غالية خاصة في زماننا هذا، لا بدَّ للمُعلِّم أن يتتبع لها، فهو ملتزم بما يُلزم به نفسه، موفٌّ بالوعد، مؤدٌّ للأمانات ملتزمٌ بجانب الصدق في حاله كُلِّه..

ومن ذلك الالتزام بمواعيد الدروس بداية ونهاية، والالتزام بإكمال المقرر، وبحضور الاجتماعات الإدارية، دقيق في مواعيده، حريص في التزاماته، لا تسبُّب، ولا استغلال للأعدار الواهية، والظروف المواتية ونحوها تهرباً من المسئوليات، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَزْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة آية: 1) وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء آية: 34).

الصفة الثامنة- القدوة الصالحة:

تُعتبر القدوة الصالحة في التربية والتعليم من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد المتعلِّم خلقياً وتكوينه نفسياً واجتماعياً، ذلك لأنَّ المُعلِّم هو المثل الأعلى في نظر المتعلِّم، والأسوة الصالحة في عينه، يُقلِّده سلوكياً ويُحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث لا يدري أو يدري.

ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح المتعلم أو فساده، فإن كان المرَبِّي صادقاً أميناً كريماً شجاعاً عفيفاً يتَّسم بالخلق الصالح؛ نشأ المتعلِّم على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة.. وإن كان المرَبِّي كاذباً خائناً

متحللاً جباناً نذلاً بخيلاً؛ نشأ المتعلم على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والنذالة والبخل.

ولقد بعث الله رسوله الكريم ص ليكون للمسلمين على امتداد تاريخهم القدوة الصالحة، ويكون للبشرية في كل زمان ومكان الهادي البشير والسراج المنير، ويحقق المنهج التربوي الإسلامي تحقيقاً محسوساً.

الصفة التاسعة- حُسن المنطق:

أخي المُعلم:

إنَّ المنطق واللسان يُعدَّان معياراً من معايير تقويم الشخصية، لذا فالعُلماء توافقني أن من واجبات المُعلم أن يحفظ منطقَه ولسانه، فلا يسمع منه الطلاب إلاَّ خيراً، وحتى حين يعاتب أو يحاسب، فلا يليق به أن يتجاوز ويرمي بالكلمات التي لا يُبالي بها، ولئن كانت الكلمة الطيبة تترك أثرها في النفوس فالكلمة الجارحة تهدم أسوار المحبة وتقضي على بنيانها، ولئن كنا لا نُدرك بدقة أثر ما نقوله على الناس فالناس لهم مشاعر واعتبارات ينبغي أن نرعاها..

إننا نلمس في أنفسنا جميعاً أنَّ هناك كلمات نسمعها فتترك أثر فينبغي أن يتعامل المُعلم مع تلاميذه بفيضٍ غامرٍ من الحنان الممزوج بالرفقة والرحمة، ويتقبل ما يصدر من التلاميذ - وبالذات تلك الممارسات التي قد تكون صبيانية - بصدر رحب، ويوجههم الوجهة القويمة التي تتناسب مع أعمارهم العقلية وذلك بالتي هي أحسن وبصبرٍ وأناة دون اللجوء إلى العنف.

وينبغي كذلك أن يتجنَّب المُعلم الألفاظ البذيئة في مخاطبة الأطفال لأنها تفرس في نفوسهم مشاعر الهوان وتطبعها بطابع النقص والعدل، ويبتعد عن مخاطبة الأطفال بألفاظ قبيحة كوصف أحدهم بالقرد أو بالحيوان وما شابه ذلك من الألفاظ التي يستحي الإنسان من التلفظ بها بخلاف المُعلم المربي.. فعلى المربي

الذي تصدر منه هذه الألفاظ أن يلجأ إلى التوبة والاستغفار إذا حدث منه ذلك.

الصفة العاشرة- حسن المظهر:

فمما ينبغي العناية به الحالة التي يظهر عليها المُعَلِّمُ أمام طلابه أن يهتم بحُسن سمته وجمال مظهره، من نظافة وتأنق وتناسق وطيب رائحة، بعيداً عن الإسراف وملتزماً حد الاعتدال، فذلك أدعى للقبول والتقدير له.

وذاك يشعر طلبتنا أن الاستقامة لا تعني بالضرورة رثاثة المظهر، وقد سئل النبي ص عن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً هل ذلك من الكبر؟ فقال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

الصفة الحادية عشر- العناية بالتخصص:

الاهتمام بالتخصص والعناية به والسعي لبلوغ الذروة فيه هو ما ينبغي أن يكون من شأن المُعَلِّمِ، لأنه سيكون مرجعاً لطلابه يسألونه ويستفتونه به، ويلتزمون بما يمليه عليهم ويوجههم إليه، وينقلون هذا عنه إلى غيرهم من زملائهم أو طلابهم حينما يتصدون للتعليم فيما بعد، فلا بد من العناية بهذا الأمر عنايةً فائقةً والتأكد من صحّة المعلومات وصحّة العلاقة بينها وبين النتائج المستتبطة منها.

الصفة الثانية عشر- مُعَلِّمٌ ومتعلمٌ في الوقت نفسه:

المُعَلِّمُ لا ينقطع عن طلب العلم والسؤال عنه مهما بلغ الغاية منه؛ إذ لا غاية في العلم ولا شبع منه.. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه آية: 114).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِشِرْمِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء آية 85).

فالعلم يتطور ويتقدم فيحتاج إلى الرصد والمتابعة، فالعلم بالتعلم، ولا حياء في طلب العلم، كيف وقد ضرب لنا أحد أولي العزم من الرسل، كلِّيم الله موسى، المثل الأعلى في ذلك وهو يطلب علم الخضر ويصحبه فيه وهو الأعلى منه

في المنزلة ولا ريب، وقد قال قتادة، فالمُعلِّم لا يستكبر ولا يستتكف، أي لا يمنعه من الاستزادة في العلم كبير ولا كبر، ولا حياء ولا صغر، فمن قال علمت فقد جهل، ومن صدّه الحياء عن العلم فقد حرم نفسه.

الصفة الثالثة عشر- أب في المدرسة :

المُعلِّم يمارس مهمّة الأبوة بين أسوار المدرسة، حريصاً على طلابه، غيوراً عليهم، مُنفقاً لأحوالهم، مُتلمسٌ لهمومهم، مُتعرِّفٌ على مشكلاتهم وما يعانونه داخل المؤسسة التعليمية وخارجها، وربما تمتدُّ جهوده الإصلاحية إلى بيوت طلابه، حتى يحسُّوا أنه في مقام الأب، يشعرون ذلك من خلال متابعته الحثيثة لهم، بل يلحظون ذلك في عقابه وتأنيبه، فهو عقاب مربٍّ ومؤدِّب، وقد قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد لولده أُعلِّمكم»

وهو أيضاً يتمنى لطلابه كلَّ خير، ومن ذلك أن يكونوا أفضل منه ويتفوقوا عليه، فهو يفرح ويسرّ حينما يراهم قد تجاوزوه إلى المراتب العليا والألقاب الكبرى، تماماً كما يشعر الأب. (فهيم، 2011).

الشخصية في القرآن

ماذا جاء بالقران بالنسبة لموضوع الشخصية

- وصف الشخصية الإنسانية وسماتها العامة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من مخلوقات الله.
- وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الإنسانية التي تتميز ببعض السمات الرئيسية ، وهي أنماط عامة وشائعة نكاد نراها حتى اليوم في مجتمعا ، وفي جميع المجتمعات الإنسانية بعامة.
- وصف للشخصية السوية ، والشخصية غير السوية ، ووصفا للعوامل المكونة لكل من السواء وعدم السواء في الشخصية.

ما العوامل التي تحدد الشخصية ؟

1 - عوامل وراثية: وهي عوامل منبعثة من تكوين الفرد ذاته.
 2 - عوامل بيئية: عوامل منبعثة من البيئة الخارجية الاجتماعية والثقافية.
 ما العوامل البيولوجية التي يهتم بها علماء النفس في دراسة الشخصية ؟
 يهتمون عادة بدراسة أثر الوراثة والتكوين البدني وطبيعة تكوين الجهاز العصبي والجهاز الغدي.

ما العوامل الاجتماعية التي يهتم بها علماء النفس في دراسة الشخصية ؟
 يهتمون عادة بدراسة خبرات الطفولة وبخاصة في الأسرة ، وطريقة معاملة الوالدين ، ويهتمون أيضا بدراسة تأثير الثقافات الفرعية ، والطبقات الاجتماعية، والمؤسسات الاجتماعية المختلفة ، وجماعات الرفاق والأصدقاء على شخصية الفرد

لماذا أغفل علماء النفس المحدثون الجانب الروحي من الإنسان ؟

- لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي.
- تماشيا مع أسلوبهم في البحث العلمي الذي يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته واخضاعه للبحث في المختبرات العلمية.

وحيثما يدرس علماء النفس المحدثون محددات الشخصية المنبعثة من طبيعة تكوين الفرد ذاته ، فإنهم يقصرون اهتمامهم على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية فقط ، متناسين أو مغفلين الجانب الروحي من الإنسان ، وذلك تماشيا مع أسلوبهم في البحث العلمي الذي يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته و إخضاعه للبحث في المختبرات العلمية.

ولذلك يهمل علماء النفس المحدثون دراسة الجانب الروحي من الإنسان ، وأثره على الشخصية.

ولعل علماء النفس المحدثين الذين يتبعون في بحوثهم المنهج الموضوعي التجريبي بعض العذر في عدم تعرضهم للجانب الروحي في الإنسان ، وذلك لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي. غير أن عجزهم عن تناول الجانب الروحي في الإنسان بالبحث العلمي الموضوعي لا ينبغي أن يؤدي بهم إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الشخصية إغفالا تاما في محاولتهم فهم شخصية الإنسان ، وفهم أسباب سلوكه سواء في سوائه أو انحرافه.

إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية قد أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان ، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية ، كما أدى ذلك أيضا إلى عدم اهتمامهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية.

وقد لاحظ إريك فروم المحلل النفسي قصور علم النفس عن فهم الإنسان فهما صحيحا بسبب اهمالة دراسة الجانب الروحي في الإنسان.

إننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهما واضحا بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية ، سواء كانت بيولوجية أو روحية أو اجتماعية وثقافية. أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية والعوامل الاجتماعية الثقافية فقط ، وإهمال اثر الجانب الروحي في الإنسان ، فإن من شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة وغير دقيقة للشخصية (الهاشمي، 1984).

تكوين الإنسان :

لا توجد الروح والمادة في الإنسان منفصلتين أو مستقلتين أحدهما عن الأخرى ، إنما هما ممتزجتان معا في وحدة متكاملة متناسقة. وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهما دقيقا إلا بالنظر إلى هذا الكيان الإنساني بأكمله ، المكون من امتزاج عضوي المادة والروح (سقا ، 2001)

مما يتكون الإنسان

- مادة: احتياجات البدن (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ).
- روح: احتياجات الجانب الروحي (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ).

بماذا يتميز الإنسان عن الحيوان

- يتميز الإنسان عن الحيوان بخصائص روحية التي تجعله ينزع إلى معرفة الله وعبادته ، والتشوق إلى الفضائل والمثل العليا التي ترتفع به إلى مستويات عالية من الكمال الإنساني ، ولهذا كان الإنسان أهلاً لخلافة الله في الأرض.
- قبس الروح من الله سبحانه وتعالى التي خصته بالاستعداد لمعرفة الله والإيمان به وعبادته ، وتحصيل العلوم وتسخيرها في عمارة الأرض ، والتمسك بالقيم والمثل العليا في سلوكه الفردي والاجتماعي (الهاشمي، 1984).

الصراع النفسي:

ما المقصود بالصراع النفسي من المنظور الإسلامي؟

إن الإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع ، كما يتضمن أيضا صفات الملائكة المتمثلة في تشوقه الروحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسبيحه. وقد يحدث بين هذين الجانبين من شخصية الإنسان صراع ، فتجذبه أحيانا حاجاته وشهواته البدنية ، وتجذبه أحيانا أخرى حاجاته و أشواقه الروحية ، ويشعر الإنسان بالصراع في نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته. ويشير القرآن إلى حالة الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في

الإنسان في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾

يشير القران إلى الصراع النفسي بين الجانب الروحي والمادي في مواضع عدة عددي هذه المواضع ؟

1. ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾

- تشير عبارة (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) إلى ما يشعر به الإنسان من صراع نفسي بين الميل إلى ما تهواه النفس من الم لذات الحسية ومغريات الحياة الدنيوية ، ومقاومته الانسياق وراء أهوائه التي تتحرف به بعيدا عن منهج الحياة المستقيمة الذي وضعه الله تعالى لعباده. فمن تغلبه أهواؤه الدنيوية وشهواته الحسية وينسى طاعة ربه ، فان مصيره إلى جهنم ، وأما من يقاوم أهواءه ، ويكف نفسه عن الانسياق وراءها ، ويخاف معصية ربه ، ويسير في حياته وفق المنهج الذي وضعه الله تعالى به ، فان الجنة هي مأواه.

2. ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلدُّنْيَا نَجِدُونَ ۗ لَكِنَّا لِلْآخِرَةِ نَجِدُونَ ۗ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْغَالِبِينَ ۗ أَوْ يَدْعُ إِلَىٰ ثَوَابِهِمْ فَسَاءَ مَا يَدْعُونَ بِهِ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٧١﴾

- في هذه الآية يشير القران إلى الصراع النفسي بين الجانبين المادي و الروحي في الإنسان في وصفه تعالى لخروج قارون على قومه في زينته مما جعل بعض الناس يتمنون أن يكون لهم ما لقارون من ثروة ، فيرد عليهم البعض الآخر بأن ما عند الله خير وأبقى.

3. ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٩١﴾

في هذه الآية يشير القران أيضا إلى الصراع بين

الجانبين المادي و الروحي في الإنسان في وصفه تعالى لانفضاض بعض المسلمين من حول النبي حينما سمعوا بأنباء وصول قافلة محملة بالمؤونة إلى المدينة.

4. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

ولعل مشيئة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يعاني الإنسان-من بين ما يعانيه من مشاق الحياة- هذا الصراع النفسي بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية.

ما هو الحل الأمثل للصراع النفسي من المنظور الإسلامي ؟

لعل مشيئة الله تعالى قد اقتضت أيضاً أن يكون أسلوب الإنسان في حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقي والأساسي الذي وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الحياة.

فمن استطاع أن يوفق بين الجانبين المادي والروحي في شخصيته ، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن ، فقد نجح في هذا الاختبار ، واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة في الدنيا والآخرة.

وأما من أنساق وراء شهواته البدنية وأغفل المطالب الروحية فقد فشل في هذا الاختبار ، واستحق أن يجازى على ذلك بالشقاء في الدنيا وفي الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

ما هو حل الصراع النفسي الايجابي من المنظور الإسلامي ؟

إذا اخلص الإنسان في تقريه لله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة ، والابتعاد عن كل ما يغضب الله ، وتحكم تحكما كاملا في أهوائه وشهواته ، وقام بتوجيهها إلى الإشباع بالطريقة التي حددها الشرع فقط ، وحقق التوازن التام بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، فإنه يكون في أعلى مرتبة من الكمال

الإنساني، وهي المرتبة التي تكون فيها نفس الإنسان في حالة اطمئنان وسكينة، وينطبق عليها وصف "النفس المطمئنة" التي ذكرها القرآن في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً (٢٨) فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: 27-29).

ما هو الحل السليبي للصراع النفسي المنظور الإسلامي ؟

حينما يختار الإنسان الملذات الدنيوية ، وينساق وراء أهوائه وشهواته ، وينسى ربه واليوم الآخر ، أنما يصبح في معيشتة أشبه بالحيوان ، بل أظل لأنه لم يستخدم عقله الذي ميزه الله تعالى به على الحيوان (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الهاشمي، 1981).

الصراع النفسي يحدث بين الجانب البدني والجانب الروحي في الشخصية.

التوازن في الشخصية:

الشخصية السوية:

الشخصية السوية وغير السوية من المنظور الإسلامي

أن الشخصية السوية في الإسلام إذن، هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، وتشبع فيها حاجات كل منهما. إن الشخصية السوية هي التي تعني بالبدن وصحته وقوته، وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله، وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى، وتتجنب كل ما يفضبه. فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهواته شخص غير سوي. وكذلك فإن الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية، ويقهر جسمه ويضعفه بالرهبانية المفرطة والتعسف الشديد، وينزع إلى إشباع حاجاته وأشواقه الروحية فقط، هو أيضا شخص غير سوي وذلك لأن كلا من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية، ويعارض فطرتها، ولذلك فلا

يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقية، كما لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي.

ويتضح موقف الإسلام من ضرورة التوازن بين مطالب البدن ومطالب الروح من إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لعمل ثلاثة من الصحابة كان أحدهم يصلي الليل كله ولا ينام، وكان الثاني يصور الدهر كله ولا يفطر، وكان الثالث يعتزل النساء ولا يتزوج، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "أما أنا والله لأخشاكم لله وأتقاكم، لكني أصوم وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني(الهاشمي، 1981).

أنماط الشخصية في القرآن:

حاول المفكرون في عصور التاريخ المختلفة، كما حاول علماء النفس في العصور الحديثة دراسة أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين شخصيات الناس، وقاموا بعدة محاولات لتصنيف الناس إلى عدة أنماط للشخصية. ونحن نجد في القرآن تصنيفاً للناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي:

المؤمنون، والكافرون، والمنافقون. ولكل نمط من هذه الأنماط الثلاثة سماته الرئيسية التي تميزه عن النمطين الآخرين

1) المؤمنون:

1. سمات تتعلق بالعقيدة:

الإيمان بالله و برسله وكتبه وملائكته و اليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار والغيب والقدر.

2. سمات تتعلق بالعبادات:

عبادة الله و أداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وتقوى الله وذكره دائماً واستغفاره والتوكل عليه وقراءة القرآن.

3. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية:

معاملة الناس بالحسنى ، الكرم والإحسان ، التعاون ، التماسك والاتحاد ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، العفو ، الإيثار ، الإعراض عن اللغو.

4. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية:

الإحسان بالوالدين وبذي القربى ، حسن المعاشرة بين الأزواج ، رعاية الأسرة والإنفاق عليها

5. سمات خلقية:

الصبر والحلم الصدق العدل الأمانة الوفاء بعهد الله وعهد الناس العفة التواضع القوة في الحق وفي سبيل الله عزة النفس قوة الإرادة التحكم في أهواء النفس وشهواتها.

(2) الكافرون:

أشار القرآن إلى الكافرين في كثير من الآيات.

1. سمات تتعلق بالعقيدة:

عدم الإيمان بالتوحيد ، وبالرسل ، وباليوم الآخر ، وبالبعث وال الحساب.

2. سمات تتعلق بالعبادات:

يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم.

3. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية:

الظلم ، عدوانيون في تصرفاتهم نحو المؤمنين فهم يسخرون منهم ويتعدون عليهم ، يأمرون بالمنكر ، ينهون عن المعروف .

4. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية:

يقطعون صلة الرحم.

5. سمات خلقية:

نقض العهد، الفجور وإتباع الأهواء والشهوات، الغرور، التكبر

(3) المنافقون:

هم فئة من الناس ضعاف الشخصية ومترددون لم يستطيعوا أن يتخذوا موقفاً صريحاً من الإيمان.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

1. سمات تتعلق بالعبادة:

إنهم لو يتخذوا موقفاً محدداً من عقيدة التوحيد ، فهم يظهرون الإيمان إذا وجدوا بين المسلمين ، ويظهرون الشرك إذا وجدوا بين المشركين.

2. سمات تتعلق بالعبادات:

يؤدون العبادات رياء وعن غير اقتناع ، وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى.

3. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، يعملون على إثارة الفتن بين صفوف المسلمين ويستخدمون في ذلك الشائعات ، يميلون إلى خداع الناس ، يحسنون الكلام للتأثير على السامعين ، يكثرون من الحلف لدفع الناس إلى تصديقهم، يحسنون الظهور بمظهر حسن في ملبسهم لجلب انتباه الناس والتأثير عليهم.

4. سمات خلقية:

ضعف الثقة بالنفس ، نقض العهد ، الريا ، الجبن ، الكذب ، البخل ،
النفعية والانتهازية ، إتباع الأهواء.

5. سمات انفعالية وعاطفية:

الخوف ، فهم يخافون كلا من المؤمنين والمشركين ، الجبن والخوف من
الموت مما يجعلهم يتخلفون عن القتال مع المسلمين ، يكرهون المسلمين ويحقدون
عليهم.

العلاج النفسي في القرآن

نزل القرآن الكريم أساساً لهداية الناس، ولدعوتهم إلى عقيدة التوحيد،
ولتعليمهم قيماً جديدة وأساليب جديدة من التفكير والحياة، ولإرشادهم إلى
السلوك السوي السليم الذي فيه صلاح الإنسان وخير المجتمع، الطرق الصحيحة
لتربية النفس وتقويمها وتنشئتها تنشئة سليمة تؤدي بها إلى بلوغ الكمال
الإنساني، الذي تتحقق به سعادة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾

﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

ما الأثر الذي تركه القرآن في نفوس العرب ؟

غير شخصياتهم تغيراً تاماً ، وغير أخلاقهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم
وكون منهم أفراداً وذوي مبادئ ومثل وقيم إنسانية نبيلة ، وكون منهم مجتمعا
متحدا منظما متعاوننا ، فاستطاعوا أن يهزموا الروم والفرس أكبر دولتين في
العالم في ذلك الوقت وانتشروا في معظم بلاد العالم وقاموا بنشر دعوة الإسلام
فيها.

إن هذا التغيير العظيم الذي أحدثه القرآن في نفوس المؤمنين من مختلف شعوب العالم لم يعرف التاريخ نظيراً له بين جميع الدعوات العقائدية التي ظهرت عبر عصور التاريخ المختلفة (نجاتي، 1997).

ولا شك في أن في القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه، ويرهف أحاسيسه ومشاعره ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره، ويجلي بصيرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً، كأنه خلق خلقاً جديداً.

إن كل من يقرأ تاريخ الإسلام ويتتبع مراحل الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى، ويرى كيف كانت تتغير شخصيات الأفراد الذين كانوا يتعلمون الإسلام في مدرسة الرسول عليه صلوات الله وسلامه، يستطيع أن يدرك إدراكاً واضحاً مدى التأثير العظيم الذي أحدثه القرآن ودعوة الإسلام في نفوسهم.

وبالرغم من الجهود الكثيرة التي تبذلها المجتمعات الحديثة في ميادين التربية والتعليم لتوجيه النشء وتعليمهم وإرشادهم لكي يكونوا مواطنين صالحين، إلا أن هذه الجهود لم تثمر الثمرة المرجوة في تكوين مواطنين صالحين. فالجرائم والانحرافات المنتشرة في جميع المجتمعات لدليل واضح على فشل أساليب التربية الحديثة وعجزها عن تكوين مواطنين صالحين.

اتجاهات حديثة تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية

1. علماء النفس المحدثين:

- أ- وليم جمس " إن أعظم علاج للقلق ولاشك هو الإيمان "
- ب- كارل يونج " أساس المشكلات النفسية هان الفرد ليس له وجهة نظر دينية في الحياة "
- ت- برييل " أن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً " ، " إن الأفراد المتدينون ذو شخصيه أفضل واقوي " (الكيلاني، 1983).

2. رأي المفكرين الغربيين في العصر الحديث

ث- إن أزمة الإنسان المعاصر ترجع إلى افتقار الإنسان إلى الدين

والقيم الروحية

ج- أشار المؤرخ أرنولد " الأزمة التي يعاني منها الأوروبيون ترجع إلى

الفقر الروحي والعلاج هو الرجوع إلى الدين "

أن للإيمان تأثيراً عظيماً في نفس الإنسان.

1. الإيمان والشعور بالأمن:

تتفق جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية، ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل التي تسبب القلق.

وتتفق هذه المدارس أيضاً على أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق، وبث الشعور بالأمن في نفس الإنسان، ولكنها تتبع لتحقيق هذه الهدف أساليب علاجية مختلفة، وهذه الأساليب لا تنجح دائماً في تحقيق الشفاء التام من الأمراض النفسية.

ومما يجدر ملاحظته أن العلاج يتدخل عادة بعد حدوث الإصابة بالمرض النفسي، أما الإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغر، فإنه يكسب مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، وقد وصف القران ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن بقوله

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

-المؤمن يعلم انه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ﴾

- المؤمن الصادق يعلم أيضا أن رزقه بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
الَّتِينِ﴾

- المؤمن صادق الإيمان لا يخاف الموت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.
- المؤمن الصادق الإيمان يعلم وأنه ليس في هذه الدنيا إلا كعابر سبيل، سرعان ما ينتقل إلى الحياة الآخرة الباقية.
- المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف من مصائب الدهر، وغوائل الأيام. إنه لا يخاف أن تصيبه الأمراض، أو تقع له الحوادث، أو تحل به الكوارث ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.
- المؤمن الصادق لا يجترأ حزنه، ولا يعيش مهموماً بذكرات الماضي، ولا يتحسر على ما فاتته.

المؤمن صادق الإيمان لا يشعر بالقلق الناشئ عن الإحساس اللاشعوري بالذنب، وهو ما يعاني منه كثير من المرضى النفسيين ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ آمَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾.

يتبين لنا مما سبق أن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف من الأشياء التي يخاف منها معظم الناس عادة وهي: الموت والفقر، والمرض. كما أنه لا يخاف الناس، ولا مصائب الدهر. وهو ذو قدرة على تحمل المصائب، لأنه يرى فيها ابتلاء من الله يجب أن يصبر عليه. وهو لا يكبت شعوره بالذنب، بل يعترف بذنوبه ويستغفر الله عنها. فلا غرابة، بعد ذلك كله، أن يكون المؤمن الصادق الإيمان آمن النفس، مطمئن القلب، يغمره الشعور بالرضا وراحة البال.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

2. الإيمان وشعور الانتماء إلى الجماعة:

يحث القرآن المؤمن على أن يحب أخوانه المؤمنين وأن يحسن إليهم ويمد إليهم يد العون والمساعدة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

ويحث القرآن المسلمين على التعاون والتكافل وتكوين مجتمع موحد الكلمة متضامن يشعر فيه المؤمن أنه لبنة في بناء واحد متكامل.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

وقد حرص القرآن على بث روح الجماعة في نفوس المسلمين بفرض صلاة الجماعة يوم الجمعة يحث يجتمع المسلمون في المساجد للصلاة والتعارف. ويرى ادلر أن الإنسان يستطيع أن يتخلص من شعوره بالقلق بتقوية علاقاته بالناس المحيطين به وبالمجتمع الإنساني على وجه عام عن طريق العمل الاجتماعي النافع ومحبة الناس وصدقاتهم ، أي بمعنى آخر، إذا حقق انتماء إلى الإنساني (المقري، 1989).



علم

النفس الإسلامي

الفصل الثالث



3



الفصل الثالث

الانتباه

إنّ تعامل الإنسان الدائم مع بيئته وتفاعله معها يتطلب منه أولاً وبالضرورة أن يعرف هذه البيئة حتى يتسنى له التكيف لها، واستغلالها، وحماية نفسه من أخطارها، واشترائه في أوجه نشاطها. والشرط الأول لهذه المعرفة هو أن ينتبه إلى ما يهمه من هذه البيئة، وأن يدركه بحواسه كي يستطيع أن يؤثر فيها، وأن يسيطر عليها بعقله وعضلاته. فالانتباه والإدراك الحسي هما الخطوة الأولى في اتصال الفرد ببيئته وتكيفه لها، بل هما الأساس الذي تقوم عليه سائر العمليات العقلية الأخرى، فلولاها ما استطاع الفرد أن يعي شيئاً. أو أن يتذكره أو يتخيله شيئاً، أو أن يتعلمه، أو أن يفكر فيه. فلنكن نتعلم شيئاً أو نذكر فيه يجب أن ننتبه إليه وأن ندركه. فالانتباه عامل هام من العوامل التي تساعد على إيجاد تعلم فعال (ابو جادو، 2003).

تعريف الانتباه:

هناك تعريفات عديدة لمفهوم الانتباه منها:

- 1 - تعريف "ميلفن ماركس": "أنه وضوح الوعي أو بؤرة الشعور" وهذا التعريف يمثل وجهة النظر الاستبطانية.
- 2 - ومنها أن الانتباه "استعداد لدى الكائن الحي للتركيز على كيفية حسية معينة مع عدم الالتفات للتحديات الحسية الأخرى".
- 3 - الانتباه هو تركيز وانتقاء أو اختيار.
- 4 - "الانتباه هو الاستجابة المركزة والموجهة نحو مثير معين يهتم الفرد. وهو الحالة التي يحدث في أثنائها معظم التعلم، ويجري تخزينه في الذاكرة، والاحتفاظ به إلى حين الحاجة" تعريف لولسون ورفاقه.

5 - يعرفه حلمي المليجي بأنه " استخدام الطاقة العقلية في عملية معرفية، أو هو توجيه الشعور وتركيزه في شيء معين استعداداً لملاحظته، أو أدائه أو التفكير فيه"

أهمية الانتباه في عملية التعلم:

يعتبر الانتباه من العوامل الأساسية المؤثرة في التعلم، حيث إنه من الصعب، بل من المستحيل أن يحدث تعلم دون انتباه، فالانتباه شرط أساسي من شروط التعلم، ومرحلة ضرورية من مراحل، والأطفال والتلاميذ يتعلمون فقط ما ينتبهون إليه، لذلك من الضروري جداً أن يتقن المعلم مهارات استثارة اهتمام التلاميذ، وجذب انتباههم للمهمات التعليمية وموضوعات التعلم الجديد، إذا ما أراد إحداث التعلم، أي تغيير سلوكهم في الاتجاهات المرغوب فيها (عبد الهادي، 2000).

فالانتباه مفتاح التعلم والتفكير والتذكر، ولكي يتعلم المرء أي شيء ينبغي أن ينتبه إليه ويدركه بحواسه وعقله.

يعتبر "جانبيه" أن الانتباه يشكل الحدث المهم الثاني في عملية تنظيم التعلم، وتعتبر استثارة الدافعية للتعلم الحدث الأول، فيقول: " إن الحدث الثاني هو اجتذاب انتباه التلميذ وتوجيهه نحو المعلومات المستهدفة في الموقف التعليمي/التعلمي، ويستطرد جانبيه فيقول: إن المعلم يستطيع تحقيق ذلك بوسائل مختلفة كالتلوين ورسم الخطوط تحت العبارات المستهدفة، أو تغيير نبرات الصوت، أو التوجيه اللفظي بطلب الانتباه لأمر معين أو ناحية معينة، كأن يقول: انتبه لكذا أو انظر إلى كذا (ا لغريب، 1987).

الانتباه محدود:

لقد أجرى علماء النفس تجارب عديدة على مقدار ما يمكن أن ينتبه إليه الفرد في المرة الواحدة، فوجدوا أن الشخص المتوسط يمكنه أن ينتبه إلى 6 أو 7

أرقام دفعة واحدة، وفي حالة الكلمات يمكنه أن يستوعب معنى خمس أو ست كلمات في المرة الواحدة.

الانتباه دائم الحركة والتذبذب:

لقد دلت التجارب على أن الانتباه لا يثبت على حال، بل هو دائم التنقل والتذبذب من شيء إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى، ويمكن للقارئ أن يجرب هذا بنفسه، أن يحاول أن يركز انتباهه على صوت ساعة يده، فيجد بعد لحظات أن فكره قد انتقل إلى أشياء أخرى.

لكن إذا كان الموضوع مثيراً أو شائقاً وممتعاً بالنسبة للفرد فإنه يمكن للفرد أن يحصر انتباهه لوقت طويل نسبياً وخاصة إذا كان الموضوع ذا معنى بالنسبة له، ونجح في استثارة حب الاستطلاع لديه، إذا كان يعرف الكثير عن الموضوع ويرغب في المشاركة فيه والاستزادة من المعلومات.

فكيف يستطيع المعلم الاحتفاظ بالانتباه عند صغار التلاميذ ؟

إن مدى الانتباه عند الأطفال يتميز بقصره ومحدوديته، ومن ثم يتعين على المعلم أن يجعل فترات الموقف التعليمي/التعلمي التي تتطلب الانتباه والتركيز، قصيرة نسبياً وتتناسب مع أعمار التلاميذ وقدراتهم (ابو علام، 2013).

وينبغي أن يحرص المعلم على تنويع مثيرات التعلم وخبراته للمحافظة على استمرار انتباه تلاميذه، ومواصلة اهتمامهم بموضوعات التعلم والمهام التعليمية. والانتباه يرتبط بالاهتمام بدرجة كبيرة، وكأنهما وجهان لشيء واحد.

أنواع الانتباه:

يقسم الانتباه من حيث منبهاته إلى أقسام ثلاثة:

- 1 - الانتباه الإرادي.
- 2 - الانتباه اللا إرادي.

3 - الانتباه الاعتيادي (التلقائي).

وليس معنى هذا أنه يمكن فصل كل قسم عن الآخر، وإنما لا توجد حدود فاصلة بين هذه الأنواع الثلاثة من الانتباه. إذ قد يتداخل بعضها في بعض الأحيان.

1- الانتباه الإرادي:

يحدث الانتباه الإرادي حينما نتعمد بإرادتنا توجيه انتباهنا إلى شيء ما، ويتطلب هذا النوع من الانتباه مجهوداً ذهنياً، كانتباه المنتبه إلى محاضرة أو إلى حديث جاف يدعو إلى الضجر، في هذا الحال يشعر بما يبذله من جهد في حمل نفسه على الانتباه، وهو جهد ينجم عن محاولة الفرد التغلب على ما يعتره من سأم أو شرود ذهن، إذ لا بد له أن ينتبه بحكم الحاجة أو الضرورة أو التأديب، ويتوقف مقدار الجهد المبذول على شدة الدافع أو الانتباه وعلى وضوح الهدف من الانتباه، وهذا النوع من الانتباه لا يقدر عليه الأطفال في العادة، إذ ليس لديهم من قوة الإرادة والصبر والقدرة على بذل الجهد، واحتمال المشقة الوقتية في سبيل هدف أبعد ما يمكنهم منه، لذا يجب أن تكون الدروس التي تقدم إليهم قصيرة شائقة، أو ممزوجة بروح من اللعب (ابو علام، 2013).

2- الانتباه اللاإرادي (القسري):

فيه يتجه الانتباه إلى المثير رغم إرادة الفرد كالانتباه إلى طلقة مسدس أو ضوء خاطف أو صدمة كهربية عنيفة، أو ألم واخز مفاجئ في بعض أجزاء الجسم، هنا يفرض المثير نفسه فرضاً فيرغمنا على اختياره دون غيره من المثيرات.

3- الانتباه التلقائي (العادي):

هو انتباه الفرد إلى شيء يهتم به ويميل إليه، وهو انتباه لا يبذل الفرد في سبيله جهداً، بل يمضي سهلاً طبعاً.

العوامل التي تساعد على جذب الانتباه:

تنقسم العوامل المؤثرة في الانتباه إلى قسمين: قسم يتصل بخصائص المنبه الموضوعية، وظروف الموقف والسياق الذي يرد فيه، وقسم يتعلق بالعوامل الذاتية التي تتصل بشخصية الفرد ودوافعه وميوله واهتماماته وحالته البدنية، وكثيراً ما يتفاعل هذان النوعان من العوامل معاً.

ولقد اهتم علماء النفس بدراسة العوامل التي تجعل بعض المنبهات أكثر من غيرها إثارة للانتباه، وكان لنتائج هذه الدراسات أهمية تطبيقية في كثير من المجالات العملية وخاصة في مجال الإعلام والإعلان بصفة عامة، والإعلانات التجارية بصفة خاصة، بل وفي كل مجال آخر يتوقف نجاح الإنسان فيه على قدرته في إثارة وتنشيط انتباه الآخرين، كما يحدث مثلاً في الانتخابات السياسية.

وسنعرض فيما يلي لكل من المنبهات الخارجية والداخلية لجذب الاهتمام

والانتباه

أولاً: العوامل الخارجية لجذب الانتباه:

1- شدة المنبه:

شدة منبه ما من شأنها أن تجذب الانتباه إليه دون غيره من المنبهات الأقل شدة، فالأضواء الزاهية والأصوات العالية والروائح النفاذة أجذب للانتباه من الأضواء الخافتة والأصوات الضعيفة، والروائح المعتدلة.

2- الحركة:

النظر إلى الأشياء المتحركة يجذب انتباه الإنسان - بل وكل الكائنات الحية الراقية - فمن المعروف أن الإعلانات الكهربائية المتحركة أجذب للانتباه من الإعلانات الثابتة، وكذلك الحركة المفاجئة أو السريعة لطفل أو شخص أو حيوان تجذب الانتباه

3- الجدة أو الحداثة:

المنبهات الجديدة التي تدخل في خبرة الشخص لأول مرة تجتذب انتباهه أكثر من المنبهات المألوفة لديه، وعلى ذلك فأي حدث شاذ أو مغاير للمألوف كفيل بأن يثير انتباهنا أكثر من غيره، فمثلاً استخدام الحرف الطباعي المائل في كتاب ما يلفت نظر القارئ إلى المفاهيم الرئيسة بطبع الكلمات الدالة عليها في هذه الصورة المغايرة، وكذلك استخدام الطباشير الملون في الكتابة على السبورة، وتقديم المادة الدراسية بمختلف الطرق والأساليب الممكنة من شأنه أن يجذب انتباه الأطفال إلى المعلومات المقدمة.

4- طبيعة المنبه:

يختلف انتباهنا باختلاف طبيعة المنبه، ويقصد بطبيعة المنبه نوعه وكيفية، أي هل هو منبه بصري أو سمعي أو شمّي مثلاً؟ وهل المنبه البصري صورة إنسان أو حيوان أو جماد؟ وهل المنبه السمعي قصة؟ أو غناء، أو قطعة موسيقية؟ ولقد تبين من الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن الصورة أكثر إثارة للانتباه من الكلمات، وأن كلمات الشعر أكثر إثارة للانتباه من كلام النثر (ابو غزال، 2013).

5- تغير المنبه:

المنبه المتغير أكثر لفتاً للانتباه من المنبه الذي يظل على حالة واحدة أو على سرعة واحدة، فمثلاً تغير إيقاع صوت المحاضر يساعد على انتباه الجمهور، وكلما كان التغير فجائياً زاد أثره، فنحن لا نشعر بدقات الساعة المنتظمة في حجرة المكتب، لكنها تجذب انتباهنا إذا توقفت فجأة، والراديو بانطفائه أو ارتفاع صوته، وأسلوب المخاطبة في المحاضرة أو الإعلانات (سقا، 2001).

6- موضع المنبه:

تبين من عدد من الدراسات أن القارئ العادي أكثر ميلاً إلى الانتباه إلى النصف الأعلى من صفحات الجريدة التي يقرأها منه إلى الانتباه إلى النصف الأسفل، وأن الصفحتين الأولى والأخيرة أجذب للانتباه من الصفحات الداخلية، وقد استفاد من هذه النتائج متخصصو الإعلانات فجعلوا إعلاناتهم بارزة في هذه المواضع دون غيرها.. وكذلك تبين أن أحسن موضع للمنبه لإثارة الانتباه أن يكون موجوداً أمام العينين مباشرة، فالإعلانات التجارية الموجودة على جانبي الطريق في مستوى البصر أكثر إثارة للانتباه من الإعلانات المرتفعة جداً عن مستوى البصر، أو المكتوبة على الأرض (القيسي، 2008).

7- حجم المنبه:

تتأثر درجة الانتباه بحجم المنبه، فالأشياء الأكبر حجماً أكثر إثارة للانتباه من الأشياء الصغيرة في حجمها كما هو الحال في الإعلانات الكبيرة، والكلمات المكتوبة بحروف كبيرة أكثر إثارة للانتباه من الكلمات المكتوبة بحروف صغيرة.

8- التباين أو التضاد:

كل شيء يختلف اختلافاً كبيراً عما يوجد في محيطه من الأرجح أن يجذب الانتباه إليه، فنقطة حمراء تبرز في مجال انتباهنا إن كانت وسط نقط سوداء، كذلك وجود امرأة بين عدد من الرجال، وقد فطن رجال الإعلان إلى هذه الحقيقة، فاختصروا تفاصيل الإعلان وزحمتها إلى عدد قليل من الخطوط ذات الألوان الزاهية

9- إعادة العرض:

إعادة عرض المنبه تؤدي إلى إثارة الانتباه، ولذلك، فإن تكرار الإعلان التجاري عدة مرات في اليوم يؤدي إلى انتباه الناس إليه، وتكرار الإعلان على

مسافات مختلفة في الطريق يثير انتباه سائقي السيارات، غير أن التكرار الكثير قد يؤدي إلى الملل. ولذلك يلجأ المتخصصون في ميدان الإعلان إلى تكرار الفكرة في إطار مختلف لتجنب الملل. ويستطيع المعلم الماهر أن يستفيد من هذه العوامل الخارجية لاستثارة انتباه تلاميذه، وتركيزه وتوجيهه نحو أهداف التعلم المنشودة بشكل يحقق الإثارة والمتعة والفائدة.

ثانياً: العوامل الداخلية:

هناك عوامل داخلية مختلفة، مؤقتة أو دائمة، تهيئ الفرد للانتباه إلى موضوعات خاصة دون غيرها، فمن أهم هذه العوامل الداخلية المثيرة للانتباه.

1- الدوافع:

دوافع الإنسان وحاجاته ورغباته المختلفة أهمية كبيرة في توجيه انتباهه إلى الأشياء والمواقف والأحداث الملائمة لإشباعها، فالجائع في طريق عام يكون أكثر انتباهاً إلى لافتات المطاعم وروائح الأطعمة، والعطشان أكثر انتباهاً إلى الماء والمشروبات الأخرى التي تروي ظمأه، والأم التي تحتاج إلى شراء ملابس لطفلها تكون أكثر انتباهاً إلى الإعلانات الخاصة بملابس الأطفال، والشخص العاطل الذي يبحث عن عمل يكون أكثر انتباهاً إلى إعلانات الوظائف الخالية (عبد الجبار، 1989).

2- التهيؤ أو الواجهة الذهنية:

إذا كنت تريد كتاباً محدداً فسيكون أول شيء يثير انتباهك عند دخولك المكتبة، كذلك نرى الطالب المجد حساساً للاتصالات والمناقشة، والطبيب حساساً لسماع رنين جرس الهاتف ليلاً، والأم النائمة إلى جوار طفلها قد لا يوقظها صوت الرعد، لكنها تكون شديدة الحساسية لكل حركة أو صوت يصدر عن الطفل.

ومن العوامل الدائمة، الدوافع الهامة والميول المكتسبة التي تعتبر تهيؤاً ذهنياً دائماً للتأثير ببعض المنبهات والاستجابة لها، ونعرض لها فيما يلي:

مستوى الحفز والاستثارة الداخلية:

لا بد من توافر مستوى من الحفز أو الاستثارة الحافزة التي تحرك طاقة الفرد لكي يتم جذب الانتباه لمنبه معين، ويرتبط الحفز بالانتباه ارتباطاً منحنياً بمعنى تخفيض الانتباه إذا انخفض الحفز، ويزداد الانتباه مع تزايد الحفز.

الاهتمامات والميول:

تعد اهتمامات الأفراد وميولهم، ودوافعهم وقيمهم من أهم العوامل الداخلية للانتباه، فانتباه الشخص لبعض موضوعات في البيئة المحيطة به أو الأحداث التي تحدث حوله إنما تتحدد من خلال اهتماماته ودوافعه وقيمه، وعلى هذا فإن الشاعر الذي يهتم بمصطلحات الشعر ستختلف الجوانب التي تلفت انتباهه في تسجيلها عن تلك التي يهتم بها عالم اللغة الذي يهتم بطبقات الصوت وأساليب النطق، فمثلاً عالم نبات وبيولوجي وسيكولوجي زاروا حديقة الحيوان، الأول يلفت نظره غالباً وبوجه خاص الزهور والنباتات، وأما الثاني فينتبه بوجه خاص إلى ما قد يوجد بالحديقة من أحجار وصخور، وأما الثالث فيجذبه سلوك الحيوانات داخل الأقفاص، وسلوك من يتفرجون عليها خارج الأقفاص (زغلول)، (2003).

الراحة والتعب:

يرتبط التيقظ والانتباه بالراحة، على حين يؤدي التعب إلى نفاذ الطاقة الجسمية والعصبية، وضعف القدرة على تركيز الانتباه، فالطفل الذي لم ينل حظاً وافراً من النوم، أو أنهكه نشاط بدني أو ذهني متواصل يكون أقل انتباهاً داخل حجرة الدرس

مشتتات الانتباه:

يشكو بعض الناس من شرود انتباههم، بدرجات متفاوتة أثناء العمل أو الحديث أو القراءة أو مذاكرة الدروس، فهم يعجزون عن التركيز لبضع دقائق ثم ينصرف انتباههم إلى شيء آخر، كما يجدون صعوبة في تركيز انتباههم من جديد، وكلما جاهدوا لعلاج ذلك لم يسعفهم الجهد شيئاً، وغني عن البيان ما يسببه شرود الذهن إن أصبح عادة مستعصية من عواقب وخيمة، ويذكر كثير من الطلاب أنه كان العامل الرئيس في تخلفهم وتعثرهم مرة بعد أخرى، هذا فضلاً عما تسببه هذه العادة من شعور صاحبها بالنقص والعجز عن إصلاح نفسه بل وسخطه أو نفوره من نفسه ويرجع العجز عن الانتباه إلى عدة عوامل بعضها يرجع إلى الفرد نفسه، وهذه عوامل جسمية ونفسية، وبعضها إلى عوامل خارجية، طبيعية أو اجتماعية.

العوامل الجسدية:

قد يرجع شرود الذهن إلى التعب والإرهاق الجسمي وعدم النوم بقدر كافٍ أو عدم الانتظام في تناول وجبات الطعام أو سوء التغذية أو اضطراب إفرازات الغدد الصماء، إن هذه العوامل من شأنها أن تنقص حيوية الفرد وأن تضعف قدرته على المقاومة بما شتت انتباهه، وقد لوحظ أن اضطراب الجهازين الهضمي والتنفسي مسؤول بوجه خاص عن كثير من حالات الشرود لدى الأطفال، فقد أدى علاج هذه الاضطرابات كاستئصال لوزتين ملتهبتين أو تطهير الأمعاء من الديدان إلى تحسن ملحوظ في قدرتهم على التركيز (ابو جادو، 2003).

العوامل النفسية:

كثيراً ما يرجع تشتت الانتباه إلى عوامل نفسية كعدم ميل الطالب إلى المادة وبالتالي عدم اهتمامه بها، أو انشغال فكره وغرامه الشديد بأمور أخرى رياضية أو اجتماعية أو عائلية، أو إسرافه في التأمل الذاتي واجترار المتاعب

والآلام، أو لأنه يشكو لأمر ما من مشاعر أليمة بالنقص أو الذنب أو القلق أو الاضطهاد، وهنا يجب التمييز بين شرود في الذهن حيال مادة دراسية معينة أو موضوع معين، وبين الشرود العام مهما اختلف موضوع الانتباه، ذلك أن الشرود الاضطرابي الموصول كثيراً ما يأتي نتيجة لأفكار وسواسيه تسيطر على الفرد، وتفرض نفسها عليه فرضاً، فلا يستطيع أن يتخلص منها بالإرادة أو ببذل الجهد مهما حاول، كأن تستحوذ عليه فكرة فحواها أن الناس تضطهده أو أنه مصاب بمرض معين أو أنه مذنب آثم.. وفي هذه الحالة يكون شرود الذهن عرضاً لا اضطراب نفسي ويكون علاجه على يد طبيب نفسي، أما بذل الجهد للخلاص من هذا العرض فلا يجدي شيئاً لأنه يجعل الفرد يركز على الجهد لا على العمل، وفي هذا ما يصرفه عن العمل نفسه (الجمال، 1994).

العوامل العقلية:

تتمثل في صعوبة الموضوع، وعدم الاستعداد وعدم إتقان المتطلبات الأساسية للموضوع المطروح أو المهمة المستهدفة، أو غموض الأفكار وتشابكها.

العوامل الاجتماعية:

قد يرجع شرود الانتباه إلى عوامل اجتماعية كالمشكلات غير المحسوسة، أو نزاع مستمر بين الوالدين، أو عسر يجده الفرد في صلاته وعلاقاته الاجتماعية، أو صعوبات مالية، أو متاعب عائلية مختلفة. مما يجعل الفرد يلتجئ إلى أحلام اليقظة يجد فيها مهرياً من هذا الواقع المؤلم، ويلاحظ أن الأثر النفسي لهذه العوامل الاجتماعية يختلف باختلاف قدرة الناس على الاحتمال والصمود، فمنهم من يكون أثرها فيهم كأثر الكوارث والصدمات العنيفة، ومنهم من يستطيع الصمود لهذه الآثار وتخطيها بسهولة كأن شيئاً لم يكن (سقا، 2001).

العوامل الفيزيائية (البيئية) :

من هذه العوامل عدم كفاية الإضاءة أو سوء توزيعها بحيث تحدث "الزغلة"، ومنها سوء التهوية وارتفاع درجة الحرارة والرطوبة، ومنها الضوضاء، وسوء معاملة الآخرين للفرد، والفوضى، وعدم الانتظار، وتعقيدات الموقف وتشابك عناصره، ونوع العمل الذي ينهك فيه الفرد، وسوء ارتباط المنبه بالموضوع وعدم انتمائه

التذكر والنسيان والحفظ

من العمليات ذات التأثير الفعال في عملية التعلم، عمليتان هامتان هما التذكر والنسيان، فبعد حدوث التعلم واكتساب المتعلم للمعلومات أو المهارات أو العادات الجديدة التي تعلمها، يقوم المتعلم بعمليات ضرورية حتى يتمكن من الاستفادة مما تعلمه في ظروف ومواقف تعليمية جديدة.

فيبدأ بالاحتفاظ بهذه المادة المتعلمة ثم تخزينها في الذاكرة، ويتم استرجاعها أو تذكرها عند الحاجة، وبالتالي فالمتعلم يسعى للاحتفاظ بالمادة المتعلمة أطول مدة ممكنة حتى يتمكن من تطبيق آثار أو نتائج هذا التعلم في المواقف التعليمية.

ويواجه المتعلم صعوبات مختلفة في الاحتفاظ بالمادة المتعلمة لفترة من الزمن وبمستوى ثابت من الأداء، مما يعني أن جانباً كبيراً مما يتعلمه سوف ينسى.

ومع ذلك يبقى هدف المعلم والمتعلم - على السواء - وهو الحد من مقدار النسيان للمادة المتعلمة والتقليل من آثار عوامل النسيان عليها، سواء أثناء تعلمها أو بعد تعلمها وتخزينها في الذاكرة (الازيجاي، 1991).

مفهوم التذكر:

يعرف التذكر بأنه: " قدرة المرء على استدعاء أو إعادة مادة تعلمها والاحتفاظ بها في حفيظته أو ذاكرته، أو قدرة المرء على التعرف إلى حدث أو

شيء سبق له أن تعلمه أو عرفه وتمييزه عن غيره، ويعبر المرء عن عملية التذكر لفظاً بإعادة الألفاظ والكلمات والعبارات التي كان قد حفظها حركة أو أداءً بإعادة القيام بالعمل المتذكر بنفس الطريقة التي كان قد تعلمه بها، أو تمييزاً بالإشارة إلى الشيء أو الأمر الذي تذكره فتعرف إليه فميزه وحدده وعزله عن غيره "

مشيرات التذكر:

يمكن تقسيم مشيرات التذكر كما يلي:

أ - **المعنى الإجمالي للموضوع يصبح مؤثراً في تذكر أجزائه**، وهذا ما يحدث في الامتحانات حيث يطلب الممتحن تفصيل موضوع من موضوعات أو توضيح حقيقة من الحقائق كأن يطلب شرح قانون من القوانين، فالمعنى الإجمالي يحدد تفكير الطالب فيما له ارتباط بالمسألة المعروضة أمامه.

ب - **العنوان**: يعتبر العنوان نوعاً من المعنى الإجمالي، لهذا فإن ذكر عنوان الموضوع ولو في صيغة سؤال كافٍ لتذكره، لهذا درج بعض الممتحنين على استخدام العنوان وحده للاختبار، كأن يوضع السؤال في الصيغة الآتية: اذكر ما تعرفه عن: نهاوند - محكمة التفتيش، الوحدة الجرمانية الخ.

وهذا ما يحدث كذلك في دروس الإنشاء حيث يعرض على الطالب عنوان موضوع أدبي أو بحث من البحوث، فيكفي ذلك لاستثارة ما سبق للطالب معرفته عنه، ويختلف ذلك باختلاف ثقافته أو اطلاعه.

ج - **المعنى الجزئي**: يكفي أن تمر بنا حقيقة من الحقائق لتتذكر حقيقة أخرى مرتبطة بها كنتيجة حتمية لها أو لتسلسلها منها، ويحدث هذا عادةً عندما نبتدئ في استرجاع موضوع من الموضوعات، فالصعوبة

تعرض الطالب في تذكر موضوع جديد ترجع إلى الصعوبة في اكتشاف الحلقة الأولى من سلسلة الحقائق التي يحتويها، لهذا كان من اليسير بعد اكتشاف هذه الحلقة أن يتذكر بقية أجزاء الموضوع، لأن كل جزء يصبح بعد تذكره مؤثراً جديداً لتذكر نقطة تالية وهكذا (أبو علام، 2013).

د - تداعي المعاني: ليس من الضروري أن يستدعي معنى معين اللفظ الذي يدل عليه هذا المعنى كما سبق ذكره بل إن المعنى قد يدعو بطبيعة ارتباطاته السابقة معنى آخر وهذا معنى ثالث وهكذا.

هـ - الارتباط الزمني والمكاني: ويعتبر هذا الارتباط مؤثراً قوياً في كثير من العادات المكتسبة عند الإنسان يسترجعها تحت تأثير الارتباط الزمني كالاستيقاظ في ساعة معينة.

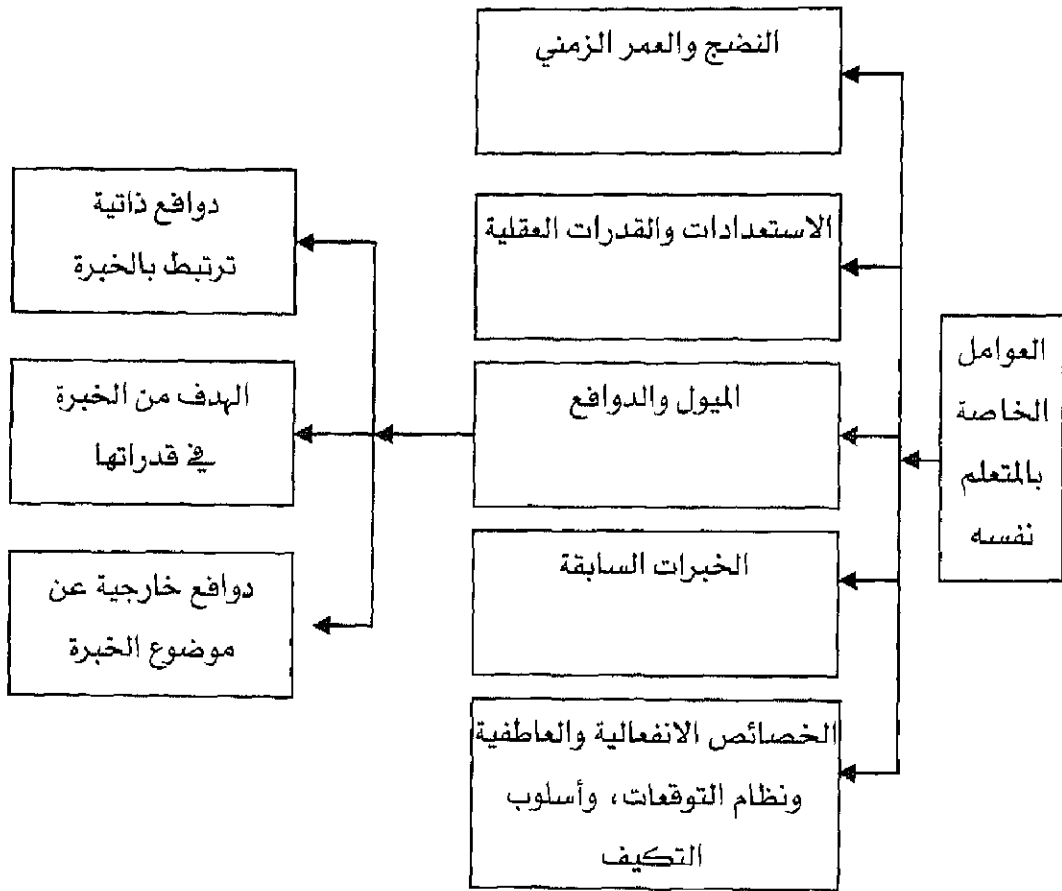
فمما سبق نلاحظ أن قوانين الترابط المختلفة واضحة الأثر كعوامل فعلية على التذكر، فالكل يعتبر مؤثراً لتذكر الجزء الذي يحتويه، والشبيه شبيهه، والشيء ضده وهكذا (جاسم، 2007).

العوامل المؤثرة في عملية التذكر:

إن هناك عدداً من العوامل التي يمكن أن تؤثر في عملية التذكر ويمكن حصرها في عوامل ثلاث هي

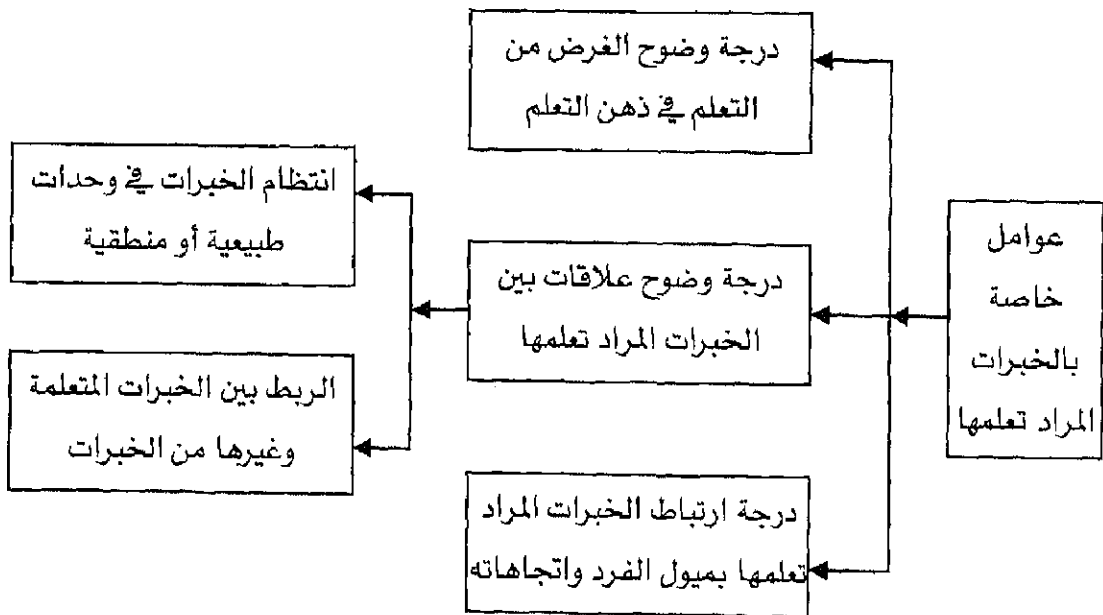
1- عوامل خاصة بالمتعلم نفسه:

من استعراض الأدب التربوي في ذلك أمكن القول أن النضج والعمر الزمني واستعدادات، وقدرات المتعلم بالإضافة إلى ميوله ودوافعه وخبراته السابقة، وخصائصه الانفعالية والعاطفية ونظام توقعاته، كل هذه العوامل مجتمعة أو معظمها يمكن أن تؤثر في نوعية الخبرات التي تم تذكرها واسترجاعها، ويمكن أن توضع هذه العوامل بالصورة التالية



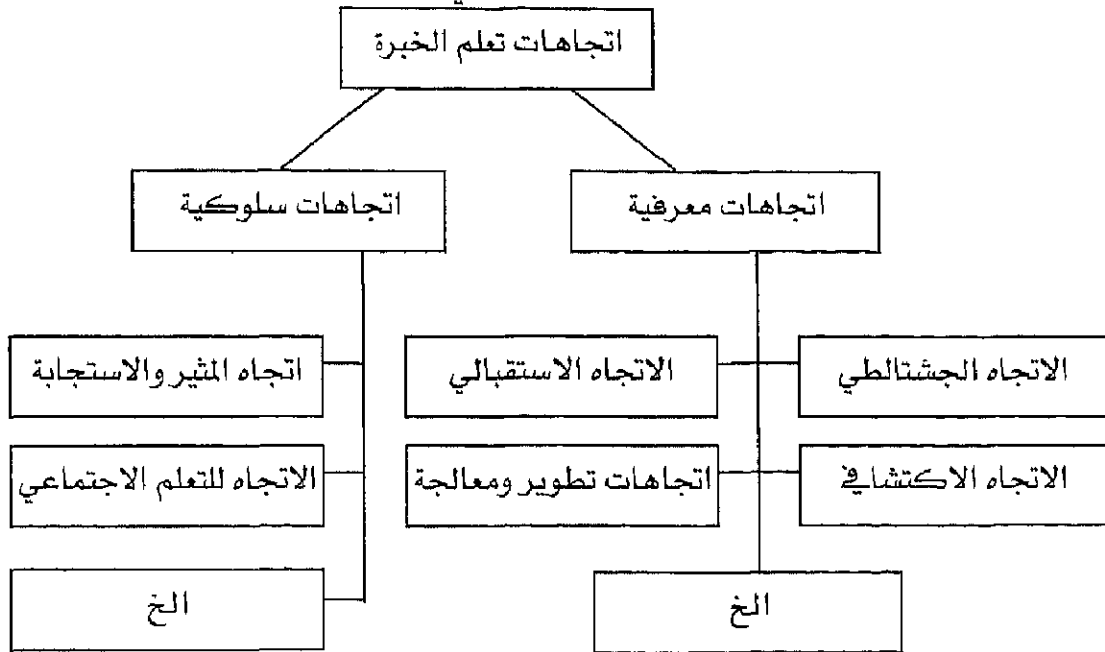
2- عوامل خاصة بالخبرات المراد تعلمها:

وتتضمن وضوح الهدف، ودرجة وجود علاقات بين الخبرات، ودرجة ارتباط الخبرة - موضوع التعلم - بميول الفرد واتجاهاته، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط التالي:



3- عوامل خاصة بطريقة التعلم:

ويمكن تمثيلها باتجاهات التعلم السائدة، وخصائصها في تعلم الخبرة، حيث خصائص اتجاه تنعكس على طبيعة الخبرات التي تم تعلمها وخبزنها وأن هذه الاتجاهات يمكن تمثيلها في المخطط التالي:



4- عوائق التذكر:

هناك عوامل تعسر الإرجاع هي ما نعرفها بعوائق التذكر وهي أنواع

أ - الحالة الانفعالية: الانفعال هو حالة اضطرابية خاصة عند الشخص تؤثر في وظائفه الجسمية، كما تؤثر في تفكيره، فالمتعلم تحت تأثير انفعال خاص كالغضب أو الخوف يعجز عن تذكر كثير من الحقائق التي سبق له أن تعلمها، بل إنه في حالة الفزع أو الخوف الشديد ينسى المرء أبسط الأسماء وأعمها استعمالاً، والحالة الانفعالية لها أثرها في الامتحانات ولاسيما الشفهية فالحيرة والارتباك والقلق والفزع الذي يساور الطالب يفقده كثيراً من معرفته. لهذا رأى بعض علماء التربية أن الامتحانات بأساليبها الراهنة لا تعتبر مقياساً

أكيداً لمستوى الطالب لاسيما في حالة رسوبه لأن ذلك نعزوه إلى أثر الخوف.

ب - **الشعور الذاتي:** يكون إحساس الفرد المفرد بشخصه ووجوده عائناً له عند التذكر، وهذا يحدث عادةً إذا وجد في وسط يحسب له حسابه كتلثم الخطباء أمام الجماهير الغفيرة.

ج - **تشثيت الانتباه:** إذا لم يكن انتباه المتعلم مركزاً في موضوع تفكيره فإن التشثيت يصبح عائناً عن التذكر الصحيح (الغريب، 1987).

قواعد تيسر التذكر:

ترجع الصعوبة التي تنشأ في عملية التذكر إلى جملة أسباب، أهمها خطأ في طريقة التعلم أو المذاكرة ووجود بعض العوائق التي سبق ذكرها، ومن الصعوبة، ومن الأمور التي تيسر عملية التذكر ما يلي:

- 1 - يجب أن يعطي المتعلم للمؤثر الذي يستخدمه فرصة كافية لكي يستثير جميع الاحتمالات المرتبطة به.
- 2 - القضاء على عدم الثقة بالنفس، فلا يترك الخطيب مثلاً لنفسه الفرصة لنقد رأيه أثناء الكلام أو إلى ملاحظة المستمعين وتتبع أثر أسلوبه أو وجهة نظره فيهم.
- 3 - القضاء على كل انفعال نفسي كالغضب أو القلق أو الخوف أو اليأس أو الفتور.
- 4 - الرجوع إلى الظرف المكاني والزماني الذي جرت فيه المذاكرة كمكان الكلمة المنسية في صفحة الكتاب الذي قرأت فيه.
- 5 - ترك الموضوع جانباً بعض الوقت والرجوع إليه من جديد حتى يتخلص المتعلم من آثار الكلمات الخطأ التي تلاحقه بسبب تكرارها أثناء التذكر

النسيان

مفهوم النسيان:

يعد النسيان - الذي يعرف بأنه: فقد المادة المحفوظة في الذاكرة - واحداً من المفاهيم الهامة في مجال سيكولوجية التعلم التي لا يمكن قياسها بصورة مباشرة، ويقاس النسيان عن طريق تحديد الفرق بين أقصى درجة ممكنة للحفظ، ودرجة الحفظ الفعلية المقاسة، حيث يفترض أن ما لم يحفظ قد طواه النسيان.

النظريات الرئيسية في النسيان:

لقد قدمت العديد من النظريات والتفسيرات لعملية النسيان وسوف نتحدث عن بعض التفسيرات لهذه الظاهرة، ومنها نظرية الإغفاء (التلاشي التدريجي) ونظرية (التداخل) ونظرية (الاسترجاع).

1- نظرية الإغفاء (التلاشي التدريجي):

إن أبسط نظرية وضعها علماء النفس عن النسيان هي أن مجرد مرور الزمن يؤدي بآثار الذاكرة إلى أن تذوب فتتلاشى آثار المعلومات المكتسبة ببطء، وهناك أدلة كثيرة على خطأ هذه النظرية ومنها أن الكثير من الانطباعات والآثار العصبية التي سجلت في ذاكرة المرء تبقى محفوظة مدة طويلة جداً دون أن تتآكل رغم عدم استعمالها، فكيف تفسر نظرية الإغفاء مثلاً السبب في أن الناس لا ينسون السباحة بالرغم من أنهم يمكن أن يكونوا قد ظلوا دون تدريب سنوات عديدة، والتفسير هنا: أنه بالرغم من أن مرور الزمن قد يسبب بعض التغيرات التي تؤدي إلى النسيان، فالزمن وحده لا يفسر كل ما نعرفه عن النسيان، إن الوقت في ذاته لا يمكن أن يتسبب في النسيان أكثر مما يتسبب في تآكل الخشب لهذا ظهرت نظريات أخرى محاولة سد الثغرات

2- نظرية التداخل أو الإقحام:

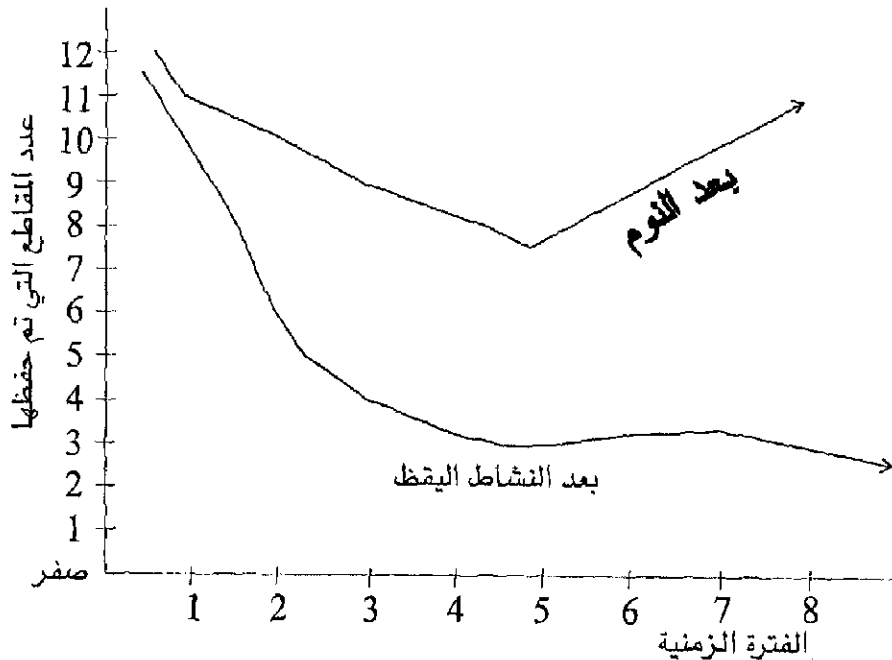
سادت نظرية التداخل أو الإقحام في العقود الأخيرة كنظرية لتفسير النسيان، وبينما يشكل عامل مرور الزمن أساس نظرية التآكل أو الضمور فإن العمليات التي تحدث للتعلم والذاكرة مع مرور الزمن تشكل أساس نظرية التداخل أو الإقحام.

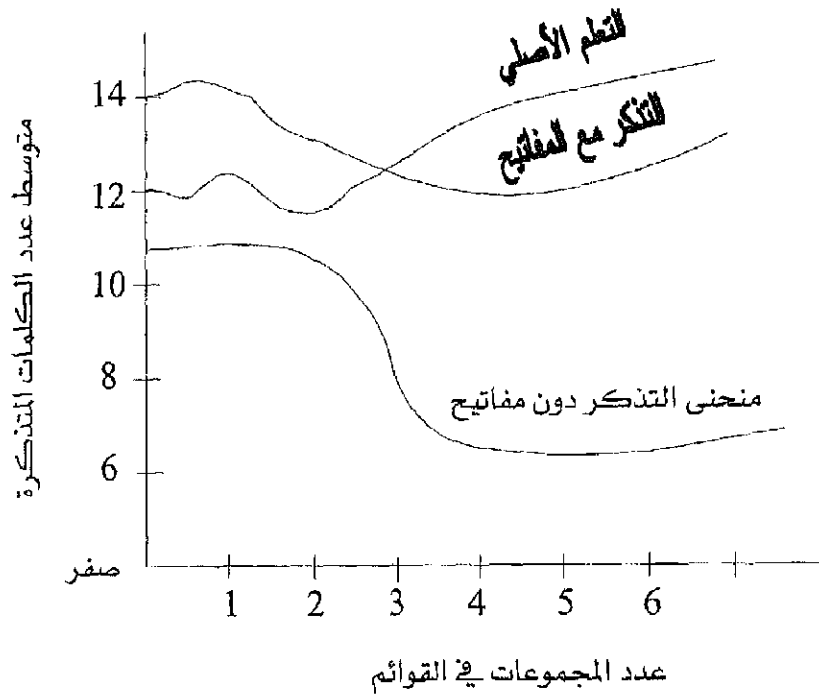
إن فشل المرء في استدعاء أو تذكر معلومات سبق له أن تعلمها يرجع إلى تعلم معلومات أو بيانات أخرى، بشكل يؤدي إلى عرقلة التذكر، وهذا يعني أن تعلم (س) يتدخل في تذكر (ص) أي إن التعلم الجديد يعرقل استدعاء التعلم الأقدم منه.

وتعتبر التجارب التي أجراها جنكنز وزميله دلنباخ سنة 1924م أول اختبار لنظرية تفسير النسيان على أساس التداخل الفاعل أو التفاعل بين التعلم الجديد والتعلم السابق، وفي هذه التجارب قام جنكنز ورفيقه (Jenkins and Dallenback) بتجربتهم لتقرير ما إذا كان مرور الزمن (وهو المتغير المستقل بالنسبة لنظرية التآكل) أم التدخل هو السبب في النسيان.

والشكل التالي يبين نتائج هذه التجربة

منحنى التذكر والنسيان عند جنكنز ودلنباخ (1924)





وتعول نظرية الاسترجاع لتفسير النسيان على عملية التعلم وطريقة تخزين المعلومات كأساس لقوة التذكر أو ضعفه، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن قابلية المادة للاسترجاع يعتمد على الأثر في ذلك؛ فإذا كانت الصيغة التي اختزنت بها المعلومات غير مناسبة كان استرجاعها ضعيفاً.

أسباب النسيان:

يمكن القول بصفة إجمالية أن هذه العوامل قد ترجع إلى إحدى المراحل التي تتكون منها الذاكرة، فقد يكون سبب النسيان خطأ في أسلوب التعلم والذاكرة، وقد يكون سببه ظروفًا خاصة تعرض لها المتعلم إبان فترة الحفظ كما قد يكون سبب النسيان خطأ في طريقة التذكر، وهذه العوامل هي:

- 1 - النسيان بسبب مرور الزمن؛ وهو العامل الرئيس الذي حاول ابنجهاوس وغيره إثباته "خط النسيان".
- 2 - النسيان بسبب ضعف الذاكرة؛ فالتعلم إذا كان ناقصاً مبتوراً كان ذلك سبباً في سرعة نسيان المادة والذاكرة تتكون من:

أ - مذاكرة مناسبة: وهي المذاكرة التي يمكن للشخص بعدها أن يسترجع المادة مباشرة مرة أو مرتين بدقة.

ب - مذاكرة ناقصة: وهي التي لم تستكمل أصولها فإذا اختبر المتعلم فقد يعجز عن استرجاعها صحيحة أو يسترجعها بطريقة مشوشة.

ج - ذاكرة كافية: وهي التي تستمر حتى بعد استرجاع المادة مرة أو مرتين، فأثار الذاكرة التي تخلقها المذاكرة الكافية أبعد غوراً وأصلب عوداً وأقل تأثراً بعوامل النسيان الأخرى (ابو جادو، 2003).

3 - نسيان بسبب خطأ في أسلوب التعلم: فالمذاكرة الكلية مثلاً لها الأفضلية عن المذاكرة الجزئية في أكثر الحالات والمذاكرة الموزعة خير من المذاكرة المستمرة.

كما أن سرعة التعلم لها أثرها في هذه الناحية، فالذي يقرأ المادة بسرعة شديدة أكثر مما تدعو إليه الضرورة يكون عمله عرضة للنسيان من المتمهل، فضلاً عن ذلك درجة اليقظة والانتباه أثناء التعلم ومبلغ الرغبة الشخصية ومدى تشويق المادة للمتعلم.. كل هذا له أثره. ومن أسباب النسيان أسلوب المذاكرة الانتقال إلى مادة جديدة مشابهة بعد الانتهاء من المادة الأولى مباشرة بحيث يصبح خطراً على تثبيتها فيما عرف " بالكبت العكسي " .

4 - النسيان بسبب العوامل الشخصية: وتبدو في المظاهر البسيطة كالأخطاء غير المقصودة ويرجع السبب فيها إلى رغبة الشخص اللاشعورية إلى كبت بعض الحوادث المتصلة بسبب ما تثيره في نفسه من الآلام فيفضل التخلص منها بالنسيان

الحفظ

مفهوم الحفظ:

الحفظ هو المرحلة التي تفصل بين التعلم أو المذاكرة وبين التذكر، وهو يختلف عن كل منهما من حيث إن التعلم عملية فعلية يقوم بها الفرد ويبدل في سبيلها مجهوداً ويستنفذ بشأنها طاقة عصبية وكذلك التذكر هو محاولة تتطلب مجهوداً خاصاً وتستهلك طاقة عصبية معينة، أما الحفظ فما هو بعملية بل حالة استقرار أو ركود نسبي (الازيجاوي، 1991).

قياس الحفظ:

الطالب الذي يتعلم مادة معينة كجدول الضرب مثلاً يمكنه تذكره إذا طلب منه ذلك نقول عنه بأنه وعى جدول الضرب أو احتفظ به والوصول إلى ذلك يكون باختبار الطالب نفسه، فالتذكر هو المقياس الوحيد للحفظ، كما أن الحفظ هو الغرض الضروري الذي بدونه لا يكون التذكر.

فدراسة الحفظ اعتمدت على اختبارات الذاكرة وهي بالنسبة إليها طريقة غير مباشرة، لاستحالة اختبار الحفظ مباشرة، وهناك طريقتان أساسيتان لقياس درجة الحفظ:

الأولى: وهي أبسط طريقة لقياس ما حفظناه وتكون بواسطة حساب النسبة بين المادة الأصلية وما يمكن استذكاره منها بعد فترة الحفظ فإذا كنت حفظت معنى عشرين كلمة من لغة أجنبية اليوم ولم تستطع أن تتذكر منها في الغد إلا ثلاث عشرة كلمة فمعنى ذلك أن نسبة الحفظ هي 13 على 20 أو 65%.

الثانية: هي طريقة التعلم من جديد فقد يحدث مثلاً أن نعطي شخصاً ما قصيدة شعرية لحفظها، ويلاحظ أنه يجيد حفظها في وقت قصير، إلا أنه بعد فترة يعجز عن استعادة هذه القصيدة متى طلب إليه ذلك، والطريقة التي تستعمل لقياس حفظ الشخص في هذه الحالة، إننا نطلب إليه إعادة حفظ القصيدة مرة

أخرى، وفي هذه الحالة يكون المجهود الذي يبذله في الحفظ أقل منه في المرة الأولى، وبعملية حسابية بسيطة، نستطيع استخراج النسبة التي تدل على الفرق في درجة الحفظ مرتين، ويستعمل التعرف كوسيلة من وسائل قياس الحفظ.

العوامل التي تساعد على الحفظ:

لقد أثبتت الأبحاث التجريبية أن كل حفظ يقوم على أسس تعليمية صحيحة يكون من نصيبه التحسن والتقدم ومن أهم العوامل التي تساعد على الحفظ الجيد:

- 1 - وجود النية أو القصد: كأن يعتمد الإنسان التعرف على شخص ما لمصلحة تهمه، فإنه لن ينسى اسمه بسهولة بخلاف لو تعرف على شخص ما عرضاً، وذلك ليس منشأه لضعف في الذاكرة، ولكن لأن الأمر لم يعطه قدراً من الاهتمام.
 - 2 - استعمال الصور الذهنية: لا شك أن لاستعمال الوسائل السمعية (كالراديو مثلاً) والبصرية (كالسينما) أثراً عظيماً في عملية الحفظ.. ومن هنا تظهر أهمية وسائل الإيضاح في الدروس المختلفة.
 - 3 - الربط: فالمبتدئ في القراءة والكتابة مثلاً يسهل عليه تعلم الحروف، كلما حاولنا ربطها بأشياء معهودة له، ولذلك نجد كتب القراءة تربط (أ) بالأرنب، وحرف (ث) بالثعلب.. وهكذا، وكذلك الكبار.
 - 4 - الوزن والإيقاع: وللوزن أثر عظيم في تسهيل عملية الحفظ وقد أدرك ذلك العلماء قديماً كألفية ابن مالك.
 - 5 - تقسيم الدرس إلى وحدات طبيعية: لكي يسهل حفظه وذلك عن الطريقة الكلية ثم التقسيم لوحداث طبيعية أثر النوم في الحفظ:
- أثبتت مجموعة من التجارب الحديثة العهد أن للنوم أثراً واضحاً في تثبيت الحفظ لاسيما إذا كان مباشراً بعد المذاكرة، فالفترة التي يقتضيها المتعلم

ليست فترة خمود كلي بل هي ذات أثر فعلي إيجابي في ما سبق تعلمه، ونتائج هذه الأبحاث من ناحية أخرى تناقض النتائج العامة عن تأثير الزمن الذي ينقضي بين التعلم والاسترجاع في درجة التذكر، فالمتعلم يتذكر الجانب الأكبر من المادة بعد مذاكرتها مباشرة بينما تتناقض نسبة ذلك كلما طالت هذه الفترة، أما إذا كانت هذه الفترة فترة نوم فإن درجة النسيان تكون غير محسوسة نسبياً.

ويمكن إجمال نتائج الأبحاث عن تأثير النوم في الحفظ كما يلي:

- 1 - النوم مباشرة بعد المذاكرة يساعد على تثبيت الحفظ.
- 2 - يؤخر النوم ابتداء عملية النسيان الطبيعي.
- 3 - يقضي النوم على السقوط الفجائي لخط الحفظ أو النسيان
- 4 - الحفظ وعلاقته بالمعنى والفهم:

من المعترف به في كل النظريات التعليمية أن الإنسان أسرع في حفظ المادة التي يفهمها من تلك التي يجهلها أو يجهل أكثرها، ومن السهل أن نلاحظ الفرق بين حفظ جملة قصيرة مفهومة من لغة الإنسان الأصلية ومحاولة حفظ جملة أخرى لا تزيد عنها في الكلمات والحروف ولكنها من لغة أجنبية مجهولة.

وحيثما نصل أمراً ما بأنه مفهوم، فإننا نعني بذلك أنه قد توافر فيه واحد أو أكثر من الأمور التالية:

أولاً: أن يكون للإنسان به خبرة سابقة، ففهمه لهذا الموضوع يتوقف على مدى هذه الخبرات السابقة.

ثانياً: حسن العرض والترتيب، فكلما حسن ترتيب الموضوعات وعرضها عرضاً منطقياً، كانت أكثر فهماً وأوضح معنى.

ثالثاً: وضوح العلاقة بين العناصر والنتيجة، فكلما وضحت العلاقة بين عناصر ذلك الموضوع والنتيجة النهائية لهذه العناصر مجتمعة، وصف الموضوع بأنه مفهوم.

ولاشك أن تنظيم المادة -على الشكل الذي ذكرناه- يساعد على وضوحها في ذهن المتعلم، وهذا الوضوح بدوره يعمل على تثبيتها، والاستفادة منها في المناسبات الأخرى.

الفروق الفردية في القرآن والسنة

الفروق الفردية سنة من سنن الله في خلقه، فأفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم فلا يوجد فردان متشابهان في استجابة كل منهما لموقف واحد. وهذا الاختلاف يعطي الحياة معنى... فلو تساوى الناس في صفة الذكاء مثلاً لنتج عن ذلك:

لن يصبح الذكاء صفة مميزة بين الأفراد.

ولن يصلح جميع الأفراد إلا المهنة واحدة.

وتعد ظاهرة الفروق من أهم حقائق الوجود الإنساني التي أوجدها الله في خلقه حيث يختلف الأفراد في مستوياتهم العقلية:

العبقري، الذكي جدا، والذكي، ومتوسط الذكاء، ومنخفض الذكاء، والأبله والمعلم الموفق هو الذي يعطي كل إنسان - فرداً وجماعة - من العلم ما يلائمه ويصلح له، وبالقدر الذي يصلح به وفي الوقت الذي ينتفع به. الإسلام والفروق الفردية:

الإسلام يعترف بالفروق الفردية بين الناس وأن لكل فرد طاقته واستعداده وقدراته، ولم تكن أمراً مبتكراً للتربية المعاصرة بل أشار إليها ديننا وطبقها نبينا صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح (الشيخ، 1990).

شواهد من القرآن الكريم :

- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (آل عمران: آية 113).
- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: آية 286).

" فكان يخاطب كل واحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فكان لا يعلمهم ما يعلم المنتهين، وكان يجيب كل سائل بما يناسب حاله."

الحديث الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتخفيف في الصلاة: " من أم فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " وهنا فيه مراعاة الكل من أجل البعض

ويقول صلى الله عليه وسلم " ما احد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً على بعضهم "

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فدخل رجل فقال يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه.. فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته ودعا بكرسي فجلس يعلمه ثم عاد لخطبته . رواه البخاري ومسلم

وقد ورد عن الامام علي (عليه السلام) عنه أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون - وفي بعض الروايات - على قدر عقولهم.. أتحبون أن يكذب الله ورسوله على المعلم أن يكتشف قدرات كل طالب حتى يتسنى له تقسيم كل الحلقة إلى مجموعات متجانسة واستغلال قدرات كل واحد منهم في معاونة المعلم.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة حينما يكتشف القدرات ويعتني بالموهوبين ويحثهم على الإبداع في وجوه الخير النافعة وفي ذلك استثمار للمكاثم وعلى المربي إضافة إلى ثنائهم عليهم أن يقدم الجوائز النافعة، وقد استعمل هذا الأسلوب مع صحابته صلى الله عليه،

فوائد معرفة الفروق الفردية في المجال التربوي والتعليمي:

- 1- إعداد المناهج بما يتناسب مع قدرات و استعدادات الطلاب المتباينة.
- 2- إدراج العديد من الأنشطة والبرامج الإضافية التي تتناسب مع تباين مستويات الطلاب مثل رعاية الموهوبين، النوادي العلمية والثقافية،

المسابقات العلمية، دروس التقوية، التي لتلبي احتياجات الطلبة المختلفة.

3- المعرفة بتلك الفروق تساعد على توجيه الطلبة لاختيار التخصصات المناسبة لقدراتهم واستعداداتهم وميولهم.

4- اختيار أنسب طرق التدريس والأنشطة والبرامج الإضافية.

خطوات تنفيذ المعلم في تطبيق الفروق الفردية داخل الصف:

1- عمل مراجعة سريعة قبل تقديم المادة الدراسية لربط الدروس السابقة بالدرس الجديد.

2- تقديم أمثلة متنوعة لكل مفهوم من المفاهيم المتضمنة للدرس.

3- الاهتمام بالتحليل والمقارنات التي تتعلق بالمبادئ النظرية.

4- التنوع في استخدام الوسائل التعليمية " الخرائط، الصور، الرسوم البيانية فالطالب قد تشوقه وسيلة دون أخرى.

5- تقسيم الطلبة إلى مجموعات صغيرة ليتعاونوا فيما بينهم على تبادل وتطبيق الخبرات وتوفير التغذية الراجعة.

6- تطبيق الاختبارات القبليّة أو التجريبية للمراجعة لمعرفة مدى استعداد الطلبة لتعلم مهارة أو معلومة جديدة.

7- ترك المجال للطلاب لاختيار النشاط الذي يناسبه تحت إشراف المعلم ليتمكن التعبير عن أفكاره وميوله من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة " لوحة، مجلة، نشاط علمي، إبداع،

8- تقديم أنشطة تدريبية تناسب الطلاب الذين يحتاجون مزيد من الوقت والتدريب.. المسائل الرياضية الأمثلة التوضيحية للتعرف على المعلومة الأساسية.

9- تقديم أنشطة للفهم والتفسير والتي تناسب الطلاب الذين يحتاجون إلى مزيد من الشرح والتفسير لفهم المعلومة الجديدة

10- تقديم أنشطة إثرائية والتي تناسب الطلاب الذين يحتاجون إلى التعمق في فهم المادة من خلال التطبيق.

النتائج التي تتحقق بمراعاة الفروق الفردية:

- 1- الاهتمام بتعليم جميع المستويات.
- 2- الارتفاع بمخرجات العملية التعليمية.
- 3- التقليل من الفاقد التعليمي.
- 4- الوصول بكافة مستويات الطلاب إلى الأهداف المنشودة.
- 5- مراعاة الحاجات المختلفة لأعداد كبيرة من الطلبة داخل الصف (محمود، 1989).